الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مطبوعـة بيداغوجيـة بعنوان:

محاضرات في الأدب الجزائري

المقياس: أدب جزائري

المستوى: الثالثة ليسانس

التّخصّص: أدب عربي

السّداسي: الخامس

إعداد : د /عبددو رابح

الرّتبـة: أستاذ محاضر"ب"

السّنة الجامعيّة:2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مطبوعـة بيداغوجيـة بعنوان:

محاضرات في الأدب الجزائري

المقياس: أدب جزائري

المستوى: الثالثة ليسانس

التّخصّص: أدب عربي

السّداسي: الخامس

إعداد : د /عبددو رابح✍

الرّتبـة: أستاذ محاضر"ب"

السّنة الجامعيّة:2022/2021

بسم الله الرّحمن الّرحيم

*** أهداف المقرر :**

ـ التّعرّف على خصوصيات الأدب الجزائري .

ـ تمكين الطالب من التأصيل للأدب الجزائري .

ـ الإطلاع على الرّصيد الأدبي الجزائري بشعره ونثره .

ـ تدريب الطالب على الممارسة النّقدية واستنطاق النّصوص .

ـ التعرّف على أبرز أعلام الأدب الجزائري .

***المكتسبات القبلية المفترضة :**

ـ الإحاطة بنشأة الأجناس الأدبية وخصائصها الفنية والجمالية .

ـ الإطلاع على تاريخ الجزائر وانعكاساته على الإبداع الأدبي .

ـ معرفة أهم الأغراض والمواضيع التي كتب فيها المبدعون قديماً .

ـ القدرة على المقارنة بين الفترات الزمنية التي ظهرت فيها الأجناس الأدبية في الجزائر.

ـ الإحاطة المنهجية بآليات تحليل النّصوص الشّعرية والنثرية .

مفردات المقرر :

ـ تمهيد :

1ـ رواية "الحمار الذّهبي " لأبوليوس

2ـ الدّر الوقاد في شعر بكر بن حماد

3ـ ديوان الأمير عبد القادر

4ـ حكاية العشاق في الحب والإشتياق لمحمد بن براهيم

5ـ إلياذة الجزائر لمفدي زكريا

6ـ ديوان محمد العيد آل خليفة

7ـ عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي

8ـ غادة أم القرى أحمد رضا حوحو

9ـ الجازية والدروايش لإبن هدوقة، الشهداء يعودون هذا الأسبوع للطاهر وطار

10ـ معركة الزقاق لرشيد بوجدرة ،الثلاثية لمحمد ديب

11ـ الأمير لواسيني الأعرج

12ـ دواوين كل من سليمان جوادي ،عثمان لوصيف ،عز الدين ميهوبي

13ـ بوابة الذكريات لآسيا جبار ،ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

14ـ نجمة لكاتب ياسين ، الأجواد لعبد القادر علولة

تمهيد :

يتميز الأدب الجزائري الحديث عن بقية آداب اللغة العربية في العالم العربي،بخاصية منفردة قلما نجدها، تجتمع في أدب العروبة قديماً وحديثاً، ويتمثل ذلك التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة، أنبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها حيث تدخلت في تشكيل الأدب الجزائري على مرّ العصور ثلاثة عناصر: العنصر المحلي، والعنصر العربي، والعنصر اللاتيني الفرنسي، وانصهرت العناصر الثلاثة لغة وحضارة عبر التاريخ، ثم لبست حلة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين. التقت العناصر الثلاثة لقاء الصراع والتفاعل والاندماج، وأثمرت في النهاية أدبا« جزائرياً» قبل أن يكون لاتينياً فرنسياً، وإن نطق باللاتينية والفرنسية، وقبل أن يكون عربياً أو وطنياً محليا، وإن نسج أحداثه وشخوصه من عبقرية الأرض والعروبة،فإنّه جزائري أصيل، وبناء على هذا التركيب العجيب، توحدت عناصر اللغة والفكر والبيئة والتاريخ والإنسان الجزائري، في صورة شديدة التعقيد والثراء، تولدت عنها صورة الأدب الجزائري المعاصر، الذي تعدّدت منابعه وتباينت أصوله ومشاربه لكنها تصب جميعها في محيط أشمل يتسع لكل الروافد ومحيط الثورة الجزائرية، التي انصهرت فيها كل التيارات الفكرية واللغوية، وتخضّبت فيها كل الكفوف الجزائرية بالدماء، مثلما تخضّبت بالحناء في عرس الاستقلال. فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسية، التي يستخدمها الكتّاب الجزائريون، تكون النتيجة أدباً أصيلاً. فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميزه، يختلف عن الأقطار العربية، حيث

لم يكن للاستعمار تأثير مشابه على التعليم والثقافة، بل أن التفكير الجزائري ذاته يعتبر مختلفا ومتبايناً، حيث إنه يشكل مزيجاً من العقلانية والمنطق والشاعرية.

إنّ الرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العربية والعالمية تحاول أن ترصد الواقع و تسجّل ما يطرأ عليه من مستجدات ولا شكّ أنّ الواقع يؤثّر بدوره على النّص الروائي ويفرض عليه طبيعة المواضيع التي ينقلها للقارئ ولهذا برز في الجزائر "أدب المحنة" في تسعينيات القرن العشرين حيث تجلّى الواقع المأساوي بقوة في الكتابة الأدبية،لقد حاول المثقف الجزائري عموماً والروائي بشكل خاص أن يثبت ذاته وانتمائه أيام الأزمة حيث بقي صامداً ومواجهاً ،إثباتاً للذّات وتحقيقاً للوجود .

ولم يكن النّص الشّعريّ الجزائري بمنأي عن الواقع فما نظمه بكر بن حماد قديماً وما جادت به قريحة محمد العيد آل خليفة حديثاً وما أبدعه مفدي زكريا وغيرهم كثير كل ذلك كان يصبّ في خانة النّص الإبداعي الخالد الذي يحمل في طيّاته المعاني الإنسانية العميقة فهو نص شعريّ فنيّ جماليّ تدخل في تركيبته العديد من المعارف التي يضفي عليها الشّاعر طاقة من التخزين الإيحائي والجمالي ،فالشّعر التّحرريّ ،والشّعر السّياسيّ ،وشعر الوصف ..... كلها أغراض شعريّة أشبعت حاسة جمالية وخدمت قيماً إنسانية خالدة .

لقد أبرزت النّصوص الأدبيّة الجزائرية قديمها وحديثها ،شعرها ونثرها قيمة ومكانة الأدب الجزائري واسهاماته في الأدب العربي خصوصاً والأدب العالمي بشكل عام وسنحاول من خلال محاضراتنا تتبع أبرز خصوصيات الأدب الجزائري وأهم المواضيع التي شغلت بال الأديب الجزائري مع الوقوف على السّمات الفنيّة والجمالية لهذا الأدب .

المحاضرة الأولى :

رواية الحمار الذهبي لأبوليوس

لاشكّ أنّ معظم الأحداث التّاريخية التي خلّدها التّاريخ ووافانا بتفاصيل دقيقة بشأنها إنّما هي وقائع تتعلق أساساً بحياة الملوك والأباطرة وعظماء الإنسانية ،أما البقية وهم السّواد الأعظم من البشر قد لا نجد لهم ذكراً، فتاريخ الشعوب والأمم كثيراً ما يرتبط بالتّاريخ السّياسي الذي يولد لحظة ميلاد السّلطة وهذه الأخيرة هي من يحدّد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وترسّم معالم النّزاع والصّراع على مدى تاريخ البشرية ،ولعلنا نلتمس أبعاد هذه الإشكالية ونحن ندرس تاريخ منطقة شمال إفريقيا ونحاول تحديد أصول الجماعة البشرية التي استوطنتها فالفترات التّاريخية التي سبقت تواجد الرومان شهدت تعاقب العديد من الأجناس البشرية لهذه المنطقة ولكن حضورها التاريخي لا يبرز هويتها ولا يؤكد مدنيتها ونسبها بدقة .

وفي محاضرتنا هاته سنسلّم بحقيقة وجود البربر أو الأمازيغ في شمال إفريقيا قبل التّواجد الروماني وهذا ما يؤكده معظم المختصين والدارسين للتاريخ والأنثروبولوجيا وغيرهم .

وستكون رواية "الحمار الذهبي " لأبوليوس هي النّموذج لكونها أول رواية في التّاريخ البشري وصلتنا كاملة ــ في نظر مؤرخي الرواية ــ وهي تناقش قضية الهويّة وتحوّلاتها

فحسب لوكيوس لا يمكن أن تتحقّق هوية الإنسان إلا بجوهره وهو العقل، والتّحرر من هوية الحمار يدرك حين الإستنارة بنور العقل فندرك ذواتنا ونعرف غيرنا ،أما عدا ذلك فهي مؤشرات ثانوية ترتبط بالشخصية المادية . والرواية كجنس أدبي كثيراً ما تطرح إشكالية الهوية وتحوّلاتها ،حيث سعي الإنسان دوماً للبحث عن هويته من خلال التّمسك بالثوابت أمام المتغيرات الطارئة وقد حاولت رواية "الحمار الذهبي"من بدايتها أن تناقش هذه القضية حين يصرّح كاتبها قائلاً **" ... ستعجب كيف يتخذ بعض النّاس أشكالاً غريبة ثمّ يستعيدون صورهم الأصلية على وجه مغاير ..."**(1)

ولد أبوليوس أو أفولاي بالأمازيغية حوالي 125 للميلاد بمادورا وتوفي حوالي 170 للميلاد في فترة التّوسع المسيحي بقرطاج ومادورا **" مدينة نوميدية قديمة ،كانت تنتمي إلى مملكة سوفاكس (القرن الثالث قبل الميلاد) ثم ألحقها الرومان بمملكة ماسينيسا ما بين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد مع نهاية الحرب البونية** (2) **الثانية (218 ـ 201ق . م) وبعدها أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول كانت مشهورة بمدارسها وعلمائها وأساقفتها ... يمكن الآن رؤية أطلال مادورا قرب مدينة**

---

(1) – لوكيوس أبوليوس ،الحمار الذهبي، ت ،أبو العيد دودو ،منشورات الإختلاف ،بيروت ،ط 3 ،2004 ، ص : 41

(2) – الحروب البونية أو الفونية والمقصود بها الحروب الثلاثة التي دارت بين روما وقرطاج

مداوروش بالجزائر الحالية " (1) وقد عرفت مادور في ذلك العهد بأنها مدينة العلم والفن والثقافة فشكلت قبلة لكبار الشخصيات آنذاك كالقديس أوغسطين والخطيب ما كسيموس كما درس فيها **" المؤرخ المغاربي القديم مارتيانوس كابيلا أحد ناقلي منطق أبوليوس إلى القرون الوسطى "** (2) ومع هذه الشهرة التي اكتسبتها "مادور" بكونها مركز إشعاع علمي وثقافي إلا أنّ أبو ليوس فضّل مواصلة دراساته العليا في "قرطاج" أشهر الحواضر العلمية في شمال إفريقيا آنذاك ،يقول أبوليوس : **"إني لا أرى في مدينتكم إلا رجالاً كرعوا من مناهل الثقافة ،وتبحروا في جميع العلوم ،أخذوا العلم صغاراً ،وتحلوا به شباناً ودرسوه شيوخاً ،إنّ قرطاج لهي المدرسة المقدّسة في مقاطعتنا ،وهي عروس الشّعر في إفريقيا ،وهي أخيراً ،ملهمة الطبقة التي تلبس الحلّة "**(3) **.** هذه الشخصية القويّة المحبّة للعلم والمتعلقة بالمعرفة جعلت الكثير من المفكرين والمثقفين وفي مجالات متعدّدة يعبرون عن مدى إعجابهم وتقديرهم لها يقول أندري جوليان : **" كان أبوليوس من أشهر الكتّاب الأفارقة ،لقد كان غريب الأطوار كثير المتناقضات ،فهو جدّي طائش ،متطيّر ،وشاك**

---

(1) – عبد السلام بن ميس : مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية،دارالنشر المغرب،ط2 ،2010،ص:47

(2) – المرجع نفسه : ص: 107

(3) – محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين،دار الكلام الرباط،ط1989،ص:80

معجب بنفسه ،طليق اللّسان ،لا يطيقه النّاس ،ويبهرهم في نفس الوقت ... "(1)

لقد عاش أبوليوس حياة مليئة بالمغامرات والإبداع كما كان محباً للمعرفة ومغرماً بالأسفار ومع هذا كله كان شديد الإعتزاز بهويته الأمازيغية وثقافته الإفريقية حيث كان يردّد قائلاً:

" لم يتملكني في يوم من الأيام أيّ نوع من الشّعور بالخجل من هويّتي ومن وطني" (2) .

لم ينقطع أبوليوس عن الكتابة والتأليف كما بقي وفيّاً لأهم نشاطاته الخطب والمحاضرات، وقد كان متكلّماً بارعاً وخطيباً لا يشق له غبار كما كان محلّ تقدير شديد من لدن سكان مادور وما جاورها كيف لا وقد خصّص الجزء الأكبر من ثروته ـ التي ورثها عن أبيها ـ لبناء الجامعات والمدارس مع الحرص على تعميم معارفه كمحاضر متنقل بين الأهالي، هذا الحضور المتميز بين النّاس والسّعي لتثقيفهم ونشر العلوم والمعارف بينهم جعله يخلّد إسمه في التّاريخ وقد نصبت له التماثيل التي لا تزال تحفظ ذلك المجد التّليد،فالموقع الأثري في أقصى الشرق الجزائري شاهد على تلك الحقبة من التّاريخ وتماثيل أبو ليوس تحفظ للرجل مكانته العلمية وحضوره التّاريخي المميّز .

---

(1) ـ شارل أندريه جوليان:تعريب محمد مزالي،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر،1969،ص: 251

(2) ـ الهوية المقصودة هاهنا شعب الجيتول وهم أمة بربرية سكنت الصحراء الكبرى وهم بدو رحل وهم أسلاف زناتة

رواية الحمار الذهبي :

أو رواية "التّحولات" وهي أقدم رواية وصلتنا كاملة من العصور القديمة ومع بداية التأريخ الميلادي تحديداً تمثّل هذه الرواية قيمة تاريخية فهي تعرض أحوال الإمبراطورية الرومانية وما تخلّلها من أحداث وتقلبات كما تمثّل الرواية أثراً فنياً لما احتوته من أساليب حكائية شتّى كالفكاهة والإثارة والمغامرة بل والرعب أحياناً وقد ترجمت للّغة العربية من طرف المفكر الليبي "علي فهمي خشيم" نقلاً عن الطبعة الإنجليزية ،كما ترجمها الأديب الجزائري " أبو العيد دودو" من اللّغة الفرنسية و نقلها من اللاتينية إلى العربية الأستاذ عمّار الجلاصي .

موضوع رواية "الحمار الذهبي" تتبّع لمغامرات شاب يدعى "لوكيوس " مهووس بالسفر وفضوليّ إلى أبعد الحدود هذا ما جعله يتورط في مشكلة عويصة حينما حلّ ضيفاً على عائلة "ميلو البخيل" والذي كانت زوجته ساحرة تتحوّل إلى طائر البوم باستخدام مرهم خاص ،فضول لوكيوس وحبّه للمغامرة دفعاه للتقرب من الخادمة والتّودّد لها حتى يتمكن من المرهم ،ولكن حظّه التّعيس جعله يعيش تجربة مريرة حينما جلبت له الخادمة مرهماً آخر جعله يتحوّل لحمار بدل طائر فتبدّدت أحلامه في الطيران ومع هذا التّحوّل بقي لوكيوس محتفظاً بعقله البشري حيث عايش مواقف يومية ومغامرات مختلفة لخّصت لنا معاناة الحمار مع النّاس كبيرهم وصغيرهم ،كلّ ذلك جاء في الرواية بطابع هزلي وببعد

أخلاقي يقف عند منظومة القيم وتدهورها ،وتحتفي الرواية بالرموز الدينية والآلهة التي تتحكم في مصائر البشر ويبدو ذلك مقصوداً من قبل المؤلف لكشف أباطرة الرومان وفضح سلوكاتهم وظلمهم لرعيتهم .

ـ إشكالية العقيدة والهوية في رواية الحمار الذهبي :

ذهب معظم النّقاد إلى أنّ الشّخصية المركزية في رواية الحمارالذهبي هي شخصية مؤلفها "أبوليوس" الذي يتحدّث داخل النّص بضمير المتكلم (أنا) فيتجسّد ذلك التقاطع والتداخل بين الكاتب وبطل الرواية ومثال ذلك في النّص : **"... ذكر لي أشياء كانت عجيبة ومتنوعة إلى حدّ ما ،فتنبأ لي حيناً بأنّني سأصبح شخصية شهيرة بارزة ،وتنبّأ لي حيناً آخر بأنّ حادثة كبيرة ستحدث لي وأنّي سأقوم بتأليف كتاب أكون أنا نفسي محوره"** (1) .

من خلال الفقرة السابقة نلتمس تعبيراً صادقاً عن طموحات وتجارب المؤلف كما نستشعر تلك الثقافة الجماعية التي تحب الخير والصلاح لأبناء الوطن الواحد ولعلّ ذلك نتاج تاريخي لتعاقب الحضارات وتعدّد اللّغات والثقافات في المنطقة (إغريقية،مصرية،رومانية...) .

حضور الأنا في رواية "الحمار الذهبي" يحيلنا إلى مسألة الإعتزاز بالهوية والأصل

---

(1) ـ لوكيوس أبوليوس : الحمار الذهبي ،ص: 79

المادوري الأمازيغي بأفكار ثورية تجابه وتقاوم الحضور والسيطرة الرومانية في شمال إفريقيا وترفض كل ما له علاقة بالمحتل كمعتقد وثقافة وهوية وغيرها ،وتتجلى هذه المعاني في قضية التّحوّل،فظاهرياً تحوّل لوكيوس إلى حمار أما باطنيا وكمعنى عميق هناك تحوّل أهم يقود بطل الرواية إلى عوالم تعبديّة كهنوتية تنشد **الإيزيسية** كديانة فيها الخلاص من الخطايا والتّجارب الحياتية المنافية للأخلاق ففي نهاية الرواية توجّه البطل إلى شاطئ البحر مناشداً القمر الذي يرمز إلى إيزيس ربّة الأمومة عند الفراعنة طالباً رعاية الآلهة ولطفها من أجل التّحرّر والإنعتاق من ملذات الحياة وشهواتها.ويبدو أنّ هذه النّزعة التّعبدية لا تقتصر على النّص الذي بين أيدينا ففي مرافعة أبوليوس وهي خطبة مطولة تحاكي دفاع سقراط نلتمس هذه الأبعاد العقائدية بنزعة توحيدية حيث يقول أبوليوس :

"لا أنا أول من دعاه الملك قائلاً : كلّ الكائنات تابعة لملك الأكوان .و كلّها تستّمد منه وجودها .تسألون عن من هو ذلك الملك ؟ علة وسبب واصل كل الطّبيعة .باري النّفس الأعلى .حافظ كلّ الأحياء الحي الأبدي .صانع كونه الدائب ،لكن الصانع بلا عناء والحافظ بلا انشغال والمنشئ بلا ولادة .الذي لا يحويه مكان ولا زمان ولا أي حيّز ،ولذلك لا يمكن أن يتعلّقه غي نفر قلائل ولا يستطيع له أحد وصفاً .ها أنا ذا أزيد ظنونك بخصوص

ممارستي السّحر إذن لن أجيبك يا إمليانوس عمّن أعبد باسم الملك .بل حتى لو سألني الوالي عن هوية ربّي لاحتفظت بصمتي " (1) .

وبالعودة إلى رواية الحمار الذهبي سنجد فقرات تعزّز هذا التّمسك بالمعتقد الشرقي ورفض قاطع للآلهة الرومانية حيث نلمس تمجيداً لإيزيس وتعلقاً بها يقول أبوليوس :**"...لقد نادتني دعوتك فجئت أنا أم الطبيعة ،وسيدة العناصر كلها ،وخلية الأجناس أميرة الأرواح ،وملكة الموتى،وربة السماء جوهر الآلهة والألهات ،ضوء قبّة السّماء ،ونسمة البحر الشافية،أنا كائن،ومع ذلك فلي أشكال كثيرة ،وشعائر متغيرة ،أحظى بعبادة الكرة الأرضية كلها تحت أسماء متعدّدة ..."** (2) . لقد تعرّض لوكيوس لأقسى أنواع العذاب حينما تحوّل لكائن آخر مع احتفاظه بعقله ووعيه الإنساني فعاش هذا الوعي غربة وقهراً شديدين، وإن كان ذلك المسخ بسبب خروج لوكيوس عن المعايير الأخلاقية حينما وقع في المحظور بإقامته علاقة مشبوهة مع خادمة مضيّفه ميلون فاستحق العقاب ولن يعود إلى صفته البشرية إلا بعد التّوبة والتّخلص من النّوازع العدوانية وتدخل الآلهة المخلّصة "إيزيس" .

أما على صعيد الهوية والبحث عن الذات نجد الكاتب يشيد بالآلهة المخلّصة وبالإنتساب

---

(1) – لوكيوس أبوليوس : المرافعة ، ترجمة عمار الجلاصي ،ص: 79

(2) – لوكيوس أبوليوس : الحمار الدهبي ، ص: 231

للديانة الشرقية مع الإعتزاز بالعادات والتقاليد المحلية وفي المقابل نجده يسفّه الديانات الرومانية يهجوهاوينتقدها، ولعل ماكان يتطلع إليه بطل الرواية وهو يخوض تجربة التّحول إنّما كان الدافع فيه هو تجاوز الأوضاع اليومية وأحوال النّاس القاسية في ظل الإحتلال الروماني حيث يجسّد **"طموح لوكيوس ليصير نسراً ... حلم الإنسان العمودي،المتطلع منذ بدء الخليقة إلى التّحليق والطّيران ،والمشدود إلى الغموض السّماوي ،بغية استكشاف المجهول الكامن في الأعلى (النّسر هو رسول جوبيتر إله الرعد كما يتردد في بعض فصول الرواية) .فتشاء قدرية الحكاية الكاريكاتورية أن يلتصق بالأرض أكثر مما كان عليه حراً يتمتع بخفة كإنسان ،بتحوّله إلى بهيمة :حمار .وهذا الإرتداد من ميزة طائر إلى دونية حمار يعزّز حكمة الإرتهان لتجربة ما هو أرضي واستكشاف الوجود الإنساني من خلال تقمّص جسم حيوان .غير أن الحيوان هنا والذي يتمثّله الحمار ما يزال يحتفظ بقيمة إنسانية هي عقل لوكيوس الذي لم يتعرّض للمسخ والتّحوّل ."** (1)

إنّ التّطلع للتّحرر والإنطلاق في الأفق الواسع هو تعبير عن شخصية طموحة رافضة للتقوقع متعايشة مع الآخر لا تهابه ولا تتحرج من مخالطته بل تتعايش معه وتستوعب

---

(1) – اسماعيل غزالي : مكر الكتابة ،هوامش حول رواية الحمار الذهبي ، جريدة الإتحاد 3أفريل 2014 ص: 15

ثقافته وهذا ما أثرى شخصية أبوليوس الذي اندمج بشكل عجيب مع الثقافات الأخرى كاليونانية والرومانية ومن هنا تتحدّد هوية رجل شمال إفريقيا بشخصية نبيلة حرّة لا ترفض الآخر أبداً فهي متفتحة وفي نفس الوقت متمسكة بالجذور والأصول فتعدّد اللّغات والثّقافات هو بمثابة الثّراء الذي يعطي توازناً للشخصية وتثبيتاً للهويّة والإنتماء .

المحاضرة الثانية :

الدّر الوقاد في شعر بكر بن حماد

تمهيد :

تأسّست الدولة الرستمية على يد "عبد الرحمن بن رستم" في شمال إفريقيا وتحديداً بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وهو **"فارسي الأصل والذي نسب إلى البكري رستم إلى بهرام بن ذو شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي "** (1) وقد جعل تاهرت ـ تيارت حالياً ـ عاصمة لأول دولة إسلامية في المغرب العربي ،كما كان حريصاً على تثبيت نظام حكم عادل سمح لدولته بالنّهوض والإزدهارعلمياً وثقافياً وتجارياً ،لأن عبد الرحمن بن رستم مارس مبدأ "الشورى" في حكمه فقد شاعت في تاهرت آنذاك العدالة والأمن والصلاح والتقوى ،يقول ابن الصغير : **"ليس أحد من الغرباء ينزل بهم إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانته على نفسه وماله حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي هذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي "** (2) . وبقدرماكان ابن رستم إماماً عادلاً وعالماً محباً

---

(1) ـ بحاز ابراهيم :عبد الرحمن بن رستم،شخصيات لها تاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،دط1990،ص:7

(2) ـ ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ،ق3هـ ،تحقيق،محمدناصر،ابراهيم بحاز،دار المغرب الإسلامي،دط،دت،ص:32/31

للمعرفة فقد كان مهتماً بالجوانب الإقتصادية العمرانية حريصاً على مكانة دولته وازدهارها إلى أن وافته المنية سنة (171هـ ـ 787م) ليتولى بعده الحكم ولده "عبد الوهاب" بمبايعة من القبائل ،وقد كان داهية فطناً ومحنّكاً فحينما **"اختلفت عليه الكلمة فأسكت الخصوم بالحرب والسياسة "** (1) ، وقد كان عالماً متبحراً في الشريعة الإسلامية والفقه الإباضي فتمكن من إرساء القواعد السليمة والمتينة لتثبيت أركان الدولة ويظهر ذلك جلياً في كتابه (نوازل نفوسة) ،وبعد وفاة الإمام عبد الوهاب بويع ولده (أفلح) ولم يكن أقلّ شأناً من أسلافه بل إنّه حاز مكانة مرموقة بين الأئمة الإباضيين و**"قد عمّر في إمارته مالم يعمّر أحد ممن كان قبله"**(2) وهذا ما سمح له بتجسيد العديد من الإنجازات أبرزها كان على الصّعيدين العمراني والفكري ،وبعد وفاته سنة 140هـ خلفه ولده أبوبكر وتتابع الأئمة الرستميون إلى أن سقطت دولتهم أثناء فترة حكم اليقظان بن أبي اليقظان (296هـ).

تيهرت " عراق المغرب " :

تيهرت البربرية معناها في اللّغة العربية اللّبؤة فقد كانت عاصمة الرستميّين ملجأً للحيوانات

---

(1) – مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،دت،ص: 72

(2) – ابن الصغير :أخبار الأئمة الرستميين ، ص:53

المفترسة وهي جغرافياً قريبة من الصّحراء بموقع إستراتيجي أغرى "ابن رستم " ودفعه لتشييد عاصمة لدولته تكون في مأمن من الأعداء وتتوفّر على مقومات طبيعية ومناخيّة تتيح تطوراً سياسياً وإقتصادياً وحضارياً وبذلك كانت تيهرت **"أرضاً صالحة للزراعة لما فيها من العيون الطّبيعيّة واستمرار جريان مياه نهر مينة"** (1)

الدّر الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد :

هذا كتاب جمع مادّته وشرحها وقدّمها لجمهور القرّاء **"محمد بن رمضان شاوش"** الأستاذ بثانوية الحكيم ابن زرجب بتلمسان ،طبع الكتاب لأول مرّة في المطبعة العلوية بمستغانم سنة (1966) ،وقد أهداه صاحبه لتلاميذه القدماء النّجباء تعبيراً لهم عن خالص ودّه راجياً منهم أن يتقبلوه بقبول حسن وأن يواصلوا العمل النّافع لبناء مستقبل الجزائر على دعائم الماضي المجيد .وقد جاء في مقدّمة الكتاب بعد حمد الله تعالى والصّلاة والسّلام على نبيّه المصطفى أن هذا الكتاب مقدّم لجمهور القرّاء والأدباء عموماً ولكنّه مقدّم لأدباء الجزائر بصفة أخص لأنّه يستعرض حياة وأعمال أول شاعر فحل أنجبته أرض الجزائر منذ ما يقارب أحد عشر قرناً وهو **"بكر بن حماد الزناتي التاهرتي"** والّذي ضاع الكثير من شعره

---

(1) – محمود السيد:تاريخ دول المغرب العربي:ليبيا،اتونس،لجزائرالمغرب،موريتانيا،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية دط ،2006 ،ص:147

ولم يبق إلا القليل من المقطوعات المتفرقة في كتب التّاريخ والأدب ،ويشير المؤلف في مجهوداً في البحث والتّنقيب عن تلك الأعمال الشّعرية ليتمكن من جمعها في كتابه" الدّر الوقاد" مع شرحها والتّعليق عليها ،وقد قسّم الكتاب إلى فصول أهمها الحديث عن حالة المغرب الإسلامي في القرن الثالث الهجري مع التّركيز على عاصمة الرستميّين "تاهرت" الّتي شكلّت آنئذ حاضرة إسلامية ضاع صيتها وصارت قبلة للأدباء والمفكرين لكونها احتوت مكتبة نفيسة ضمّت ذخائر وكنوزاً من شتّى العلوم والمعارف كما خصّص ترجمة مفصّلة لحياة الشّاعر وآثاره الأدبية حتى يسهل على القارئ فهم ذلك الشّعر إذا أحاط بظروف وأسباب قوله .

وفي آخر مقدّمته يذكر المؤلف ما حفّزه على القيام بهذا العمل وهما حافزان : أولهما :القيام بالواجب المقدّس تجاه الدّين واللّغة والوطن ،أما الحافز الثاني فهو تلبية لرغبة العالم الفذّ الشّيخ مبارك الميلي الذي قال في شأن شاعرنا بكر بن حمّاد : **"وشعره كثير تناقله الرواة شرقاً وغرباً ومنه قطع مبعثرة في بطون الكتب يحتاج في جمعها إلى عناية أدبية وغيرة وطنية "** (1)

---

(1) – محمد بن رمضان شاوش:الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد،المطبعة العلوية مستغانم،ط1 ،1966 ،ص: 6

محتويات الكتاب :

القسم الأول : حال المغرب العربي (أثناء القرن الثالث الهجري والتّاسع الميلادي)

يشير المؤلف إلى أنّ العرب قديماً كانوا يطلقون اسم " جزيرة المغرب" على منطقة شمال إفريقيا الّتي يكتنفها البحر المتوسط شرقاً وشمالاً والمحيط الأطلسي غرباً ،وقد قسّم العرب آنذاك منطقة المغرب العربي إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ المغرب الأدنى : وكان يشمل البلاد التّونسية والنّاحية الشّرقية للجزائر ومنهم من كان يضيف طرابلس وقاعدة المغرب الأدنى القيروان وأبرز مدنه تونس،سوسة،قسنطينة،بسكرة

ب ـ المغرب الأوسط : ويشمل كل الجزائر ما عدا بعض الأجزاء من الشرق كما يشمل المنطقة الشّرقية من البلاد المراكشية وتحديداً منطقة وجدة وقاعدة المغرب الأوسط تاهرت أما أهم مدنه فهي : تنس,وهران،وتلمسان .

ج ـ المغرب الأقصى: ويشمل باقي الجزيرة المغربية من مليانة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وقاعدته فاس وأهم مدنه :سبتة ،طنجة،سجلماسة .

لقد شكّل المغرب كله بعد الفتح العربي ولاية واحدة تابعة للخلافة الأموية بدمشق ثمّ العباسية ببغداد وكانت قاعدة هذه الولاية الشّاسعة القيروان حيث كان يقيم الولاة الّذين يعينهم الخليفة من دمشق أو بغداد كما كانت تلحق أحياناً بلاد الأندلس بهذه الولاية .

بعد الإشارة إلى التّقسيمات الّتي ذكرناه يعود المؤلف لتركيز حديثه عن المغرب الأوسط وهو ما يهمنا ـ حسب تعبير الكاتب ـ حيث يذكر طوائف الخوارج الّذين اضطهدوا في المشرق ففروا بعقيدتهم إلى المغرب واستقروا في وسطه وفي أجزاء من جنوبه أين لقيت دعايتهم النّجاح والتّوفيق وخاصّة بتاهرت ،فأسّسوا عقب ذلك مملكة شاسعة الأطراف تنافس الحواضر الكبرى آنذاك كبلاد فاس غرباً والقيروان شرقاً لا من حيث السّياسة والإدارة فحسب بل من الجوانب الحضاريّة والعمرانيّة .

القسم الثّاني :تأسيس تاهرت الرّستمية (وبيان أحوالها وحضارتها)

يشير مؤلف الكتاب "محمد بن رمضان شاوش" إلى أنّ تاهرت تاريخياً مدينة قديمة كانت موجودة في العهد الروماني والدّليل على ذلك تلك الآثار المتناثرة في أرجاء المنطقة والحجارة المنحوتة بأحرف لاتينية تؤكّد عراقة المنطقة ،أما جغرافياً حسب المؤلف فتاهرت ترتفع بأكثر من ألف متر عن سطح البحر ومناخها شديد البرودة شتاء ،أما سماؤها فكثيراً ما تكون ملبّدة بالغيوم وأمطارها غزيرة كما تشهد تساقط الثّلوج بكثافة ويورد المؤلف ما نقل على لسان أحد سكان تاهرت حينما دخل الحجازووجد الشّمس محرقة فخاطبها:

"أحرقي ماشئت فإنك والله بتاهرت لذليلة "

فتح العرب تاهرت بعد أن حاصروها في حدود عام(62هـ ــ 681م) بقيادة الصّحابي الجليل "عقبة بن نافع الفهري" وبقيت تابعة لولاة القيروان إلى حدود سنة (160هـ/ 777م) حيث بايع الخوارج الإباضية القاضي "عبد الرحمن بن رستم" إماماً عليهم .

اتّخذ الرستميون تاهرت عاصمة لمملكتهم وقاعدة لنشر مذهبهم فعمروها وأقاموا فيها الدّور والأسواق والمساجد كما أجروا فيها المياه وأحاطوها بالبساتين والرياض الغناء ،يضاف إلى ذلك عدل الأمراء وكرم وطيبة السكّان كل ذلك جعل "تاهرت" قبلة للزوار فقصدها القاصي والدّاني وعظم شأنها حتى صارت تدعى **" عراق المغرب " .**

بعد أن استعرض المؤلف تاريخ تأسيس تاهرت ينتقل على عجالة للحديث عن أحوالها السياسية والإقتصادية والإجتماعية ثمّ يتوقف ــ في جزء هام من دراسته ــ عنونه "حضارة تاهرت " ليعرض الجوانب الفنية والعلمية والأدبية لعاصمة الرستميين .

القسم الثّالث : بكر بن حمّاد التّاهرتي (حياته وآثاره)

أ ــ حياته : نسبه وولادته ونشأته :

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل (وقيل بن سهر) بن اسماعيل الزناتي أصلاً التّاهرتي نشأة وداراً ووفاة .هذا هو النّسب الّذي أورده المؤلف في كتابه مع بعض التّعليقات الهامشية والتّوضيحات الإضافية حتّى تتّضح الصورة ولا يقع الإلتباس ،كأن يشير مثلاً إلى

وجود ثلاثة شعراء يشتركون في اسم ابن حمّاد ويأتي على ذكرهم في الهامش أو يفصّل في نسبه الزناتي فيذكر القبيلة (زناتة) ويبين موطنها وما قاله المؤرخون بشأنها .

ولد بكر بتاهرت حوالي(200 هـ)وبها تلقى تعليمه على يد كبار العلماء والفقهاء والمحدّثين ولما بلغ السابعة عشر من عمره توجّه نحو المشرق،ولكنّه توقف في القيروان ليدرس الفقه والحديث وبقية العلوم ويجالس كبار العلماء آنذاك كالشّيخ**عون بن يوسف الخزاعي والإمام سحنون بن سعيد التّنوخي** .

وصل ابن حمّاد للمشرق وأقام ببغداد ويذكر المؤرخون أنّه اتّصل بالخليفة العبّاسي المعتصم فمدحه ونال جوائزه وأنّه زار البصرة والكوفة ثمّ أقام بدار الخلافة بغداد وأخذ الحديث عن كبار المحدّثين فيها **كالشيخ عمر بن مرزوق البصري وأبي حاتم السجستاني** وغيرهما كما اجتمع بالأدباء والشعراء وأشهرهم **دعبل بن علي الخزاعي وأبي تمام الطّائي .**

عاد بكر بن حمّاد إلى القيروان وأقام بها مرة ثانية ولكن تحديد التواريخ بدقة ليس بالأمر الهيّن حسب المؤلف "محمد بن رمضان شاوش" فمدّة إقامة ابن حمّاد بالمشرق لم تكن حسب المؤلف قصيرة لأنّنا لا نجد له ذكراً بالمغرب قبل عام (274هـ)، وهي السّنة الّتي يذكر فيها أحد علماء الأندلس لقاءه ابن حمّاد بالقيروان ،ويذكر لنا المؤلف في ثنايا **"الدّر الوقاد"**

بعض المواقف لشاعرنا بكر مبيناً مكانته العلميّة والأدبية وشغف النّاس وتعلّقهم بعلمه وشعره مشرقاً ومغرباً .

في آخر حياته تعرّض شاعرنا لوشاية بالقيروان فخرج رفقة ابنه عبد الرحمن فاراً صوب مسقط رأسه تاهرت وعلى مسافة قريبة من مقصده تعرض لهما اللّصوص وقطّاع الطّريق فقتلوا الولد وجرحوا الوالد ، تحامل بكر على نفسه وتشجّع حتى بلغ تاهرت وبها فاضت روحه لبارئها وصلّى عليه الفقيه موسى بن الفارسي، كان ذلك في شوال عام(296هـ) .

نماذج من شعر بكر بن حمّاد :

سبقت الإشارة إلى أنّ معظم شعر بكر قد ضاع وما جمعه "محمد بن رمضان شاوش" في كتابه "الدّر الوقّاد" لا يتجاوز المائة وعشرة أبيات لا غير **"... بلغ عدد الأبيات الشعرية المنسوبة لبكر في هذه المدونة عشرة أبيات بعد المئة وهي لا تمثّل بطبيعة الحال مجموع التّركة الشعرية لشاعرنا ولعلّ ما يؤكّد ذلك عثوري على أشعار تكمل بعض المقطوعات الواردة في مدونة الدّر الوقّاد "** **(1)** . ومع قلّة ما وصلنا من أشعار ابن حمّاد إلا أنّنا نلمس

---

(1) – جمال سعادنة : التيهرتي بكر بن حماد ،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية ،ع 24 ، جوان 2011 ،ص :195 .

قيمة فنية راقية وعاطفة جيّاشة لشاعر فحل خبر الحياة وما فيها من آلام وآمال فراح يبدع في شتّى أغراض الشّعر بنماذج غاية في الإبداع والتّميّز فمن المدح إلى الرّثاء إلى الوصف مع ميل واضح وتحكّم في غرض الزّهد والوعظ والمتأمل لشعر بكر يلتمس بساطة في اللّفظ ووضوحاً في المعنى **"كما يمتاز كذلك بقلة التّكليف وسهولة التّعبير مع بساطة اللّفظ وسلاسته بحيث ينقاد إلى فهمه الخاصّ والعام بدون كثير عناء"** (1)

ولعلنا في ختام محاضرتنا نورد أجمل المقاطع الشّعرية لشاعرنا بكر بن حمّاد مع التنويع في الأغراض والمواضيع الّتي نظم فيها قصائده .

<u>في غرض الزّهد والوعظ :</u>

برع بكر بن حمّاد في غرض الزّهد والوعظ فنظم شعراً راقياً ومعبّراً حتّى شبّه بأبي العتاهية بعد أن صار زاهداً مستغرقاً في التّأمل ذاكراً للموت ،كما في مطلع قصيدته **"السفر من غير زاد"** (2)

تبيت على فراشك مطمئناً كأنّك قد أمنت من المعاد

---

(1) – محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد ،ص :56 .

(2) – المرجع السابق : ص: 76 .

كما نجد الشّاعر يصف المقابر وحال الأموات بلغة راقية وأسلوب فنّي بديع في قصيدة عنونها ب **"وقفة بالقبور"** (1)

قف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت فيها وأجساد

قوم تقطّعت الأسـباب بينهـم من الوصال وصاروا تحت أطواد

ويبدو أنّ رحلة بكر إلى المشرق واحتكاكه بشعراء المشرق جعله يصقل موهبته ويطورها فتجربته الزهدية كانت في غاية الأهمية وهو في نظر المختصين أول من أدخل شعر الزّهد للمغرب الأوسط ونظم فيه الكثير من النّصوص الشّعرية كما في قصيدة **"ذكر الموت"** وهي من بحر الطّويل (2)

لقد جمحت نفسي فصدّت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنـح ليـل يقـودهـا وضوء نـهار لا يـزال يسوقـها

في غرض الهجاء :

نظم بكر في غرض الهجاء قصيدة خالدة ذكرتها معظم كتب الأدب والتّاريخ وقد هجا فيها عمران بن حطّان الّذي أثنى على ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول

---

(1) – محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد ،ص : 80 .

(2) – المرجع السابق : ص :78 .

فيها : **قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويحك للإسلام أركـــاناً**

قتلت أفضل من يمشي على قدم وأوّل النّاس إسلاماً وإيـــماناً

وأعلم النّــاس بالقرآن ثـمّ بـما سنّ الرسول لنا شرعاً وتبياناً

صهر النّبــيّ ومولاه وناصــره أضحت مناقبــه نوراً وبرهـاناً (1)

<u>في غرض الرّثـــاء :</u>

فقد بكر ولده عبد الرحمن فحزن حزناً شديداً ونظم مرثية خالدة تعدّ من أجود ما قيل في فنّ الرثاء يقول فيها :

بكيت على الأحبّة إذ تولوا ولو أنّي هلكت بكوا علياً

فيا نسلي بقاؤك كان ذخراً وفقدك قد كوى الأكباد كيّاً

كفى حزناً بأنّني منك خـلو وأنّـك ميـت وبقيـت حـيّاً

دعوتك يا بنــيّ فلم تجـبني فكانت دعـوتي يأساً عـليّاً (2)

كانت هذه نماذج من شعر بكر بن حمّاد التّاهرتي الشّاعر الفحل المجيد والّذي شكّل مدرسة شعريّة مميّزة في المغرب العربي تدعونا للإهتمام بهذا الإرث والإعتزاز به .

---

(1) – علي فكري : الخلفاء الراشدون ،أحسن القصص ،مكتبة رحاب الجزائر ،ج3، دط،دت ،ص: 190 .

(2) – محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد ، ص:88،87 .

المحاضرة الثّالثة :

ديوان الأمير عبد القادر

تمهيد :

الأمير عبد القادر شخصية متفردة قلما يجود الزّمان بمثلها وما قدّمه لأمته سيبقى راسخاً في الأذهان ومتداولاً بين الأجيال،والدّارس لهذه الشّخصية سيجد في الحقيقة شخصيات متنوّعة تجتمع في شخص واحد فهو الفارس القائد المجاهد،وهوالفقيه العلّامة الموسوعيّ وهو العالم المتبحر في العلوم والفنون كما أنّ الأمير متصوف و شاعر مجيد نظم في عديد الأغراض الشّعرية وهذا هو الجانب الّذي سنقف عليه في محاضرتنا من خلال ديوان الأميرولكن قبل الخوض في الموضوع سنورد وصفاً شاملاً ذكره الأستاذ ممدوح حقّي في تقديمه لديوان الأمير والحقيقة أنّ هذا الوصف وصفه به إبنه الأمير محمّد في كتابه **"تحفة الزّائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر"** إذ يقول عنه :**"كان معتدل الطول،مليئ الجسم يعلوه رأس ضخم ،له شعر كثّ مختضب بالسّواد يبرز من بين عينيه الشّهلاوين أنف أقني مطلّ عل فم مطبق تموج فيه ابتسامة تطمع بحنان ناعم،وراءه حزم حازم ... إذا ركب وثب إلى ظهر الجواد وثباً ،يصحو من نومه قبل الفجر فيصلّى الصبح حاضراً ويقرأ ورده المعتاد بصوت هادئ مسموع ... لا ينقطع لحظة واحدة عن عمل يؤديه أوكتاب يستفيد منه**

أوقصيدة ينظمها ... وكان حادّ الذكاء عجيب الحافظة بارعاً في تصريف الأمور ،شديد التّمسك بدينه ،حافظاً عهوده ووعوده ... " (1) .

عرف الأمير عبد القادر ببسالته وقوة شخصيته فهولا يهاب الخطوب ولعلّ هذا ما دفع والده محي الدّين لتسليمه قيادة الحركة الجهادية ضد فرنسا وهولا يزال في ريعان شبابه فأجاب على الفور بالسّمع والطّاعة،وقد أكّد صحة نظرة والده وصدق حدسه حيث كان القائد المغوار والرّجل الثّابت على العهد والوعد مذهلاً العدو قبل الصّديق بخصاله الرّاقية و فكره النّير يضاف لهما شجاعته في مواجهة الأعداء وإيمانه الرّاسخ بعدالة قضيته وتحمّله في سبيل ذلك الكثير من الشّدائد والقساوة حتّى من أقرب الأقربين .

ولكنّ الأمير لم يكن رجل السّياسة وقائد الجهاد فحسب بل كان رجل العلم والفكر والثّقافة والأدب ،فكان شديد التّعلق بالكتب مهتماً بمكتبته مقبلاً على القراءة مطالعاً للكتب المترجمة في شتّى الميادين بشغف كبير رغم ظروف الحرب،وهذا ما صنع منه شخصية استثنائية عجيبة فأتيح له أن يكون :قائداً عسكرياً وسياسياً محنّكاً وفقيهاً موسوعياً وشاعراً فذّاً .

---

(1) – ممدوح حقي :من مقدمة ديوان الأمير عبد القادر الجزائري،دار اليقظة العربية،بيروت،1965 ، ص : 11 .

التّجربة الشّعريّة عند الأمير عبد القادر :

عكف الأمير على قراءة التّراث الشّعري العربي انطلاقاً من العصر الجاهلي وصولاً للعصور المتأخرة فكانت المحصّلة لذلك أن حفظ العشرات من القصائد والمئات من الأبيات الشعرية لعديد الشّعراء ومن عصور مختلفة،والدّارس للتجربة الشعرية لدى الأمير سيدرك حتماً أن الشّعر كان ملازماً له وقد صاحبه طيلة فترات عمره وحتّى في أحلك الظروف ومنها السّجن والمنفى بفرنسا وتركيا ثمّ بدمشق .

وقبل الولوج للعوالم الشّعريّة لدى الأمير وأبرز الأغراض الّتي نظم فيها ،تجدر الإشارة إلى أنّ معظم الدّارسين والمهتمّين بشعر الأمير يرون فيه تبايناً من حيث القيمة بتباين الأغراض الشّعريّة فيرى الأستاذ الأديب رابح بونار أنّ شعر الأمير تظهر عليه روح شعريّة مقبولة في مواضيع :الحماسة والفخر والتّصوّف والغزل وأما إنشائه في غير هذه الموضوعات فيظهر عليه التّكلّف والإسفاف والأغلاط النّحويّة وضعف الخيال وفتور العاطفة .

أما الدكتورفؤاد صالح السّيد فيرى أنّ شعر الأمير من النّاحية التّاريخية ارتبطت كل مرحلة منه بفنّ معيّن من الفنون الشّعريّة فشعر الحماسة والفخر مثلاً هو أكثر صلة بحياة الأمير نظراً لظروف الحرب والتجربة الشخصية للأمير،أما من النّاحية النّفسيّة فيرى الدكتور فؤاد أنّ الأمير ارتاح لبعض لبعض الأغراض الشّعريّة أكثر من غيرها وهذا يعود للجوّ النّفسيّ

الّذي مرّ به في كلّ مرحلة من مراحل حياته حيث مال للشّعر الصّوفي مثلاً في مساجلاته مع شيخه الشّاذلي القسنطيني وهو في سجن الأمبواز بفرنسا،وأثناء تواجده بدمشق كان أكثر صلة بشعر المدح .

أولاً :شعر الفخر والحماسة

من أبرز الأغراض الشّعريّة الّتي عالجها الأمير في ديوانه الفخروالحماسة ولا غرابة في ذلك فهو ينتسب لعائلة شريفة ذات حسب،وعظيمة الشأن،هو ينتمي إلى **"الدّوحة النّبوية الشّريفة،فهو من الفرع الحسنيّ ،الّذي يستمدّ قدره من رسول الله ﷺ من هنا كانت حتميّة تقديم الولاءوالطّاعة لهذه الدّوحة النّبويّة الشّريفةوطلب الشّفاعة النبوية وبذلك يؤمّن المرء لنفسه الإستقرار الروحي والنّفسي "** (1)

يقول الأمير مفتخراً بهذا النّسب العظيم :

أبونا رسول الله خير الورى طرا فمن في الورى يبغي يطاولنا قدراً

ولانــا غداً ديـنـاً وفرضاً محتّـماً على كلّ ذي لـبّ به يأمـن الغدرا

وفي نظر الأمير هذا نسب ما بعده نسب وشرف ما بعده شرف،ولا مجال للمقارنة بين فخر نبويّ شريف ومكانة سامية كهذه وبين أيّ رتبة دنيويّة كيفما كانت فحسب المرء رفعة

---

(1) - فؤاد صالح السيد: الامير عبد القادر ،متصوفاً شاعراً ،المؤسسة الوطنية للكتاب،دط ،الجزائر،1985 ،ص: 191 .

وشرفاً أن يكون من نسل سيّد الخلق علي أفضل الصّلاة والتّسليم يقول الأميرفي هذا الشّأن:

وحسبي بهذا الفخر عن كلّ منصب وعن رتبة تسمو بيضاء أوصفرا

وفي موضع آخر يؤكّد الأميرأنّ شرف المؤمن يكمن في تمسّكه وحرصه على الإيمان بالله عزّوجل واتّباع سنّة الصّادق الأمين فيقول مفتخراً ومعتزاً بإيمانه :

بعليائنا يعلو الفخار وإن يكن به قد سـما قوم ونالـوا بها نصـرا

وبالله أضحـى عزّنـا وجما لـنا بتقوى وعلـم والتّزوّد للأخـرى

وفي نفس سياق الفخر الطّبيعي أوالفطري وبعدما عرضنا نماذج لأبيات شعرية يفتخر فيها الأمير بنسبه الشّريف ،سنجد أبياتاً أخرى يفتخر فيها بعروبته ويعتبر نفسه وارثاً للسّيادة العربية وللمجد العربي اللّذان يبقيان في نظر الأمير وإن زالت السّماء والجبال حيث يقول:

ورثنا سؤدداً للعرب يبقى وما تبقى السّماء والجبال

ومقابل الإفتخار بالنّسب الطّبيعي الفطري سنجد عند الأمير الإفتخار بالنّسب الوضعي الإكتسابي **"وتتوسّع دائرة هذا الفخر حتّى تشمل الفخر بمناقبه الأخلاقية الحميدة وبعلمه وثقافته وبالإمارة والملك .....ويدخل في محيط هذه الدائرة أيضاً فخره بشجاعة صحبه وحسن بلائهم وبالبداوة "** (1)

---

(1) ـ فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري،متصوّفاً وشاعراً، ص : 194 .

ومن خلال الفخر الإكتسابي تتجلى لنا مناقب الأمير وأخلاقه الفاضلة وتبدو لنا مكارمه ومدى صبره حين تقلبات الدّهر كما تظهر لنا بطولاته وصولاته وجولاته في ساحات الوغى ،وقد عبّر الأمير عن كلّ ذلك بقصائد بديعة، وصاغه في أبيات رقيقة منها قوله :

لنا في كلّ مكرمة مجال ومن فوق السّماك لنا رجال

ركبنا للمكارم كلّ هول وخضنا أبحراً ولها زجال

كما يشير الأمير إلى حلمه وعفوه عن الظالمين وأنّ مجازاته للسّفهاء تكون بالحلم والعطاء:

ونحلم إن جنى السّفهاء يوماً ومن قبل السّؤال لنا نوال

ويذكّر الأمير بسياسته الرّشيدة وحسن تسييره ومدى عدله مع الرّعيّة حتّى أنّه يشبّه عدالته بعدالة الفاروق عمر "رضي الله عنه" ،ويتمنى أن تكون هذه السياسة بمثابة السّراج الذي ينير اللّيالي الحالكات ويبعد الظّلام والجهل حيث يقول :

وقد سرت فيهم سيرة عمريّة وأسقيت ظاميها الهداية فارتوى

وإنّي لأرجو أن أكون أنا الّذي ينير الدّواحى بالسّنا بعدما لوى

من خلال شعر الحماسة والحرب تظهر شخصية الأمير القائد المغوار والفارس الّذي يتقدّم الصفوف يبثّ في جنوده الحماسة ويثير في العدو الرعب كلّ ذلك مع **"حضور الإعتزاز الرمزي بالنسب النّبوي ،إباء وصرامة من جهة،وحماية رمزية للجهاد في سبيل الحق من**

جهة أخرى " (1) .وفي هذا السّياق نلتمس عند الأمير عبد القادر ذلك الفهم العميق للفروسية والّتي لا تعدّ عند العرب مجرد مظهر أو براعة وثب على ظهر الخيول بل هي أخلاق كريمة ومثل عليا ،وقد نظم الأمير شعراً يحذّر فيه من يرى صورته أن يكتفى بالمظهر والوقوف عند الملامح ويدعوه أن ينفذ للأعماق ويلتمس الذّات الأصيلة فهو يعتز بالمخبر والأخلاق الفاضلة :

لئن كان هذا الرّسم يعطيك ظاهري فليس يريك الرّسم صورتنا العظمى

فثمّ وراء الرّسم شخص محجّب له همّة تعلو بأخمصها النّجما

وما المرء بالوجه الصّبيح افتخاره ولكنّه بالعقل والخلق الأسمى

وإن جمعت للمرء هذي وهذه فتلك الّتي لا يبتغي بعدها النّعمى (2)

ويبلغ شعر الحماسة ذروته عند الأمير حينما ينصّب نفسه مدافعاً عن جيشه فهو الدّرع الواقي لجيشه والحزام الآمن وهؤلاء الفوارس في ساحة المعركة هم بمثابة الأشبال حول الأسد ،والأمير يدافع عنهم ويحميهم .

" لقد كان الأمير كثير الإعتداد بنفسه ،حتّى ليظن المرء الّذي لا يعرف شيئاً عن سيرته

---

(1) – عمر بن قينة : دوّخ جنرالات فرنسا ودوخته أم البنين،مجلة الفيصل الأدبية ،م4 ،ع ¾ ،2007 ،ص: 93 .

(2) – صلح خرفي : في ذكرى الأمير ،المؤسسة الوطنية للكتاب، دط ،الجزائر ،1984 ، ص : 35 .

أنّه من قبيل المبالغة والغلو، بيد أنّه صادق في حقيقة الأمر،وخير دليل على ذلك جهاده الّذي استمّر سبع عشرة سنة " (1) .

وخلاصة القول فيما نظمه الأمير من أشعار في غرض الفخر والحماسة أن شاعرنا قد أبدع إبداعاً قلّ نظيره ،وأنّ بطولاته وانتصاراته قد خلّدت بفضل تلك الأشعار .

ثانيا: شعر الغزل :

يستغرب بعض الباحثين حين تناولهم لأشعار الأمير في غرض الغزل فيتساءلون عن السّر الكامن وراء هذا الضعف الّذي يبدو على الأمير تجاه المرأة وهو الفارس الشّديد قاهر أكبر جنرالات العدو،والحقيقة أنّ المتمعن في تلك الأشعار سيكتشف أن الشّاعر لا يتغزل تغزّلاً مادياً فاحشاً فهو الأمير الرّصين صاحب الأخلاق الفاضلة والنّسب الشّريف وإنّما ضعفه كان أمام أمّه الّتي تعلّق بها بشكل عجيب فكان يجلّها ويشاورها بل ويصطحبها معه أينما حلّ وارتحل فيتلمّس من عقلها الرّاجح ويشعر بالطمأنينة في حضورها وهي الّتي رافقته في منفاه وبقيت معه إلى أن توفاها الله فتأثّر الأمير أيما تأثّر لفقدها وحزن خزناً شديداً،كما كان الأمير ضعيفاً أمام زوجته أو أم البنين كما سمّاها هو وقد تغزّل بها تغزّلاً روحياً جميلاً إذ

---

(1) – رابح بونار :الأمير عبد القادر حياته وأدبه،مقال منشور في مجلة آمال، العدد 8 ، جويلية ،1970 ، ص:17 .

عبّر عن اشتياقه لها وتحسّر على الفراق بعاطفة جياشة وبكلمات عليها لفحات اللوعة والحرقة :

ألا قل للّتي سلبت فؤادي وأبقتني أهيم بكلّ واد

تركت الصّب ملتهباً حشاه حليف شجى يذوب بكلّ ناد

وما لي في اللّذائذ من نصيب تودع منه مسلــوب الفــؤاد

ويبدو أنّ الأمير يستهدف من الغزل بثّ شكواه وتصوير لواعجه المحرقة وهذا النّوع من الغزل محمود لمن يميل للجوانب الرّوحية في تعامله مع المرأة كما أنّ ميولات واهتمامات الأمير الصّوفية قد غذّت هذه الأشعار روحياً ومثال ذلك ما نظمه لأم البنين وهي في بروسة معبّراً عن شوقه وحرمانه بعبارات رقيقة ونبرات روحيّة حزينة فيقول :

أقول لمحبوب تخلّف من بعدي عليــلاً بأوجــاع الفراق وبالبعـد

أما أنت حقاً لو رأيت صبابتي لهان عليك الأمر من شدّة الوجد

وممّا يتبدى في شعر الغزل عند الأمير هو تركيزه على الجوانب الجمالية المعنوية للمرأة ومن ذلك الحياء كقيمة خلقية تزيد المرأة جمالاً على جمالها ،ويبدو أنّ هذا ممّا توفّر في أم البنين فهي شديدة الحياء حتّى في مبادلة زوجها مشاعر المودّة والرحمة .

لقد تآلفت نفسية الأمير مع ميولاته الصّوفية فخلقت هذه الجوانب الروحية الّتي ميّزت سلوك الأمير وطريقة تعامله مع الغير،فانعكست بالتّالي النّاحية الخلقية على أشعاره الغزلية ،ومن أبرز الخصائص في غزل الأمير ظهور شخصيته وبروز معاناته كقوله :

حنيني أنيني زمرتي ومضرّتي دمو عي خضوعي قد أبان الّذي عندي

كما يؤكد الأميز على جانب العفّة تجاه الحبيبة مع سّيطرة العقل والوجدان على العلاقة ويظهر هذا الحرص وهذه العفّة في قوله :

وأبذل مهجتي في لثم فيها فتمنعني وأرجع منها صاد

وأخيراً نقول أنّ من أبرز السّمات الّتي ميّزت غزل الأمير حرصه على تصوير الفراق في صور بديعة، كما نلتمس ذلك الإنكسار والشّجن العميق والميل إلى السّهر ومناجاة الحبيبة بكثرة التساؤلات والآهات ومنها أيضاً عتاب للحبيب وقسوته وبعده عنه .

<u>أغراض أخرى نظم فيها الأمير</u> :

من الأغراض الشّعرية الّتي أبدع فيها الأمير نذكر غرض **"الوصف"** والحقيقة أنّ هذا الغرض مبثوث في معظم الأشعار ،فالشّاعر وهو يمدح يصف ،وهو يفخر يصف ،وهو يرثي يصف ...وهكذا مع بقيّة الأغراض .

ينقسم شعر الوصف عند الأمير إلى قسمين :وصف للبادية ،وآخر للحضر أو المدينة وقد نظم فيه الأمير حينما استقرّ في الحواضر الّتي زارها في منفاه ،كما يظهر عند الأمير الوصف الوجداني التّشخيصي في بعض المقطوعات ولغة هذا الوصف رقيقة لينة تخاطب المشاعر الرقيقة ومثال ذلك حوار الأمير مع النّاعورة الّتي بثّ فيها الرّوح بطريقة تشخيصية فأجابته عن تساؤلاته :

وناعورة ناشدتها عن حنينها حنين الحوار والدموع تسيل

وإلى جانب غرض الوصف نذكر **شعر التّصوّف** وقد كان الأمير منذ صغره ميّالاً لتلك الجوانب الرّوحيّة الصوفيّة بل إنّ طريقة تنشأته من قبل والده **"محي الدّين"** جعلت منه شاباً محافظاً منصرفاً للقراءة منغمساً في ثنايا الكتب ،وقد كان العصر عصر تصوّف إذ أنّ محي الدّين كان من أتباع القادرية وكان تأثيره شديداً على ولده ولهذا كلّه كان الأمير متصوّفاً ولكننا بالعودة لديوانه لن نجد له قصائد في التّصوف أثناء تواجده في الجزائر حيث كان منشغلاً بالجهاد ومواجهة الأعداء ،وشعر التّصوّف تحديداً يتطلّب الأجواء التّأملية الّتي وجدها الأمير بعد الإعتقال واستقراره بالشّام أين اكتمل نضجه الصّوفي فأخذ يقرض القصائد الصّوفيّة متأثراً بكبار الصّوفية كمحي الدّين ابن عربي وابن القارض والنّابلسي وغيرهم وفي هذا النّوع من الشّعر كان الأمير يصوّر ما يحسّ به ويسجّل ما يرد عليه من

الخواطر ،وقد أبدع الأمير في هذا الغرض بأسلوب بسيط ولغة رقيقة ومن أشهر ما نظم في هذا الباب قصيدته الرّائية الّتي يصوّر فيها فتوحاته الربّانية مع شيخه محمد الفاسي فيقول في مطلعها : **أمسعود جاء الخير والسّعد واليسر وولّت جيوش النّحس ليس لها ذكر**

وخلاصة القول أنّ الأمير عبد القادر ومع ما عاشه من أحداث جسيمة ووقائع عظيمة طيلة حياته إلا أنّ الجوانب الإنسانيّة الرّاقية والزّوايا الفنيّة الممتعة كانت حاضرة ومنها نظم الشّعر،فمن خلال رحلتنا مع ديوان الأمير الشّعري ألفيناه مكثراً في بعض الأغراض كشعر الحماسة والغزل والوصف ومقلاً في البعض الآخر كالمدح والرّثاء ولعلّ طبيعته الرّصينة ومكانته بين النّاس كأمير وكقائد جعلته ينصرف لبعض الأغراض والمواضيع دون غيرها .

ولكنّ المتتبع للتّجربة الشّعريّة الأميريّة سيجدها حتماً غنيّة وقصائده هي انعكاس لتجربته الحياتية وهذا جعله صادقاً لأبعد الحدود ،وشعر الأمير يصلح لأن يكون وثيقة حياتية لشخصه ثمّ لبيئته وما يحيط به فقد صوّر لنا الكثير من القضايا السياسيّة والثّقافية والعسكرية ... الّتي سادت آنذاك .

المحاضرة الرابعة :

حكاية العشّاق في الحبّ والإشتياق "لمحمد بن براهيم"

تمهيد :

إنّ المتأمّل في تاريخ الشّعوب والأمم،قديمها وحديثها سيجدها حتماً تحمل في ذاكرتها التّاريخية قصصاً شعبياً ثرياً ومعبّراً عن مكنونات الإنسان الّذي وجد في هذا القصص متنفّساً للتعبيرعن تطلّعاته وآماله،وهو يحلم بالحرية والإنعتاق من ممارسات سلبته حق العيش الكريم ،ولا شكّ أنّ الخيال الشّعبي يلعب دوراً هاماً في صياغة الأحداث التاريخية وإضفاء الأجواء الخرافية والغرائبية عليها،ويبدو أنّ حضور القصّة في الأدب الشّعبي غالباً مـا كان مصاحباً لوقائع تاريخية مهمة **"خاصة الممارسات الثقافية التي عاشتها الجماعة الجزائرية منذ العصور القديمة... وبعض محطاتها التاريخية وتجلياتها المختلفة"(1)** .

وبما أنّ القصّة الشّعبية تحوي مجموعة الإنجازات والبطولات الشعبية والتي بقيت حيّة في الذاكرة فإنّنا نجد العديد من النّقاد يوسّع مفهوم القصّة الشّعبية على **"الأشكال التي استخدمت الأسلوب القصصي من سرد وحوار وحديث عن الشخصية والتركيز عليها أو على الحادثة**

---

(1) – عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية،منشورات رابطة الأدب الشعبي،الجزائر،2006 ،ص:8

سواء كانت مجهولة المؤلف أو معروفة المؤلف وسواء ارتبطت هذه القصة بالتاريخ أو بالواقع أوبالأسطورة أوبالدين أوبغيره،ممّا يدخل عموماً في مفهوم مصطلح الحكاية"(1) .

وعليه يمكننا أن نرصد أربعة أركان أو أبعاد للقصة الشعبية فأحداثها تدور في مدارات واقعية إجتماعية أخلاقية وتاريخية،فمنها ما يندرج في إطار السيرة الشعبية أو قصص البطولات العربية مثلاً "كسيرة عنترة بن شداد،وسيرة الهلاليين،وسيف بن ذي يزن ..." وهذا النوع انتشر مع الفاتحين الأوائل وعن طريق القوافل التجارية أوبواسطة الكتب التي تعنى بالتاريخ والبطولات الإسلامية،ومنها ما يدور في فلك الدين والخرافة والسحر ونتبين في هذا النوع سعي الإنسان لمراقبة واقعه وإيجاد الحلول ولو بتصورات عقائدية خيالية .

" حكاية العشاق في الحبّ والإشتياق " وإشكالية التّصنيف :

يعتبر هذا النّص السردي من النصوص القديمة المكتوبة في الأدب الجزائري وهو لصاحبه "مصطفى بن براهيم" أو"الأمير مصطفى" (1806 – 1886) وهو حفيد مصطفى باشا أحد دايات الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي (1795–1805) ،تعرّض كاتب القصّة لمحنة

---

(1) – عبد الحميد بورايو :الأدب الشعبي الجزائري،دراسة لأشكال الأداء في الفنون الشعبية الجزائرية،دار القصبة،الجزائر، 2007 ، ص: 185 .

كبيرة فقد إثرها والده وأخويه وصودرت كل أملاكه من طرف الغزاة الفرنسيين فلم يجد له مواسياً إلا الغرام ومعاقرة الخمر وتعبيراً عن أحواله كتب هذه الحكاية .

كتبت هذه الحكاية سنة 1849 وقد قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بنشرها سنة 1977 وقدّم تعريفاً لها في مجلة الثقافة الجزائرية في عددها الأول،وجدير بالذكر أنّ عدداً من النقاد كانوا قد اختلفوا في تصنيف هذا النّص وإن كان معظمهم يميل إلى أنّه قصة شعبية فيها من الخيال الموجود في النصوص القديمة ولكنه لم يرتق فنّياً،وما يؤهل هذه الحكاية لأن تصنّف في خانة الحكاية الشعبية هو تضمنها لجزئيات وخصائص نوردها كالتالي :

1 ـ العنوان المميّز وهو مستمدّ من التّراث و**"يدلّ العنوان على الشخصيات أو الأماكن أو البرنامج السّردي،فهو يختصرسلفاً المغامرة "** (1) .

2 ـ طريقة تقديم الشخصية بأبعادها الفنيّة الكاشفة لنوازعها وتناقضاتها .

3 ـ المقاطع الشعرية العامية البسيطة التي توظّف للاستشهاد أو التعبير عن المشاعر .

4 ـ الإعتماد على أسلوب الحكواتي في عرض الأحداث ومن ذلك تكرار الألفاظ والجمل .

5 ـ وجود صاحب الحديث كما هو شائع في القصص الشعبي وهو بمثابة الراوي للأحداث.

6 ـ الإنتقال من فكرة إلى فكرة دون توضيح مع القفز على الأحداث بشكل غامض .

---

(1) ـ لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية،دار النهار للنشر،بيروت،2002،ص:125 .

العناصر السردية في الحكاية :

ـ بناء الشخصيات :

الشخصية هي أبرز عناصر العمل القصصي وهي التي تحرك الأحداث وتساهم في تطورها وبقدر ما كان تأثير الشخصية في الحدث يكون الحكم عليها بمستوى معيّن من النّضج وتوجيه الأحداث،وبالعودة لحكايتنا التي صنّفناها في خانة القصّة الشّعبية سنجد عنصر الشخصية فيها لا يخرج عن القواعد والسّمات التي اتّفق عليها النّقاد والمختصون من كون الشخصية في القصة الشعبية بسيطة في تركيبتها غير معقّدة وهي ساذجة لاتمتلك فكراً راقياً أو همّاً عميقاً يؤرقها،**"فالشّخصيات على تنوعها تبدو نمطية نموذجية في تصويرها لأنّ الكاتب لا يعنى بتحليل أعماقها إنّما يعنى بوصف المظاهر والسّمات العامة لها"(1)**.لقد وظّف المؤلف في "حكاية العشّاق" شخصيات بسيطة في واقع بسيط لا تعقيدولا تركيب فيه، فنظر إليها نظرة مثالية تفصل بين الخير والشّر، وتجعل الأشخاص إما أخياراً أو أشرارفبطلا الحكاية ابن الملك وزهرة الأنس يمثلان جانب الخيرويمثّل العجوزوالبربري جانب الشّر وفي الأخير ينتصر الخير على الشّر وهذا ديدن الحكاية الشّعبية عموماً وهو مسار لا تخرج عنه في الغالب.

---

(1) – عبد الله ركيبي :تطور النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2،1983،ص:127 .

وما يميز الشخصية في حكايتنا سطحيتها فبعدها النفسي والفكري ليس عميقاً فهي مجرد قائمة بالأعمال داخل النسيج الحكائي في واقع كما أشرنا سابقاً أبعاده الثقافية والفكرية هي أيضاً محدودة ،أما الحوار في الحكاية فهو يعبّرعن مستويات الشخصية ولا يأتي وفق ما تحمله من أفكار بل يكون بمثابة وسيلة التفاهم أو وصف الأحاسيس في لغة مباشرة وبسيطة حدّ السذاجة .

ـ المستوى اللّغوي :

كتبت "حكاية العشّاق" بلغة عامية كانت أحياناً تقترب من اللّغة الفصيحة ويبدو أنّ مستوى المؤلّف الثّقافي من جهة ووضعية الكتابة والنّشر في ذلك العصر من جهة ثانية قد لعبا دوراً محورياً في تحديد لغة الحكاية وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول المؤلّف :"قام ابن الملك وضمّها إلى صدره وتعانقا جميعاً وغشي عليهم من شدّة العشق والغرام وهم متعانقين كأنّهم غزلان متخبلين" . هذا النّموذج من الحكاية يظهر بدقة مدى تهلهل المستوى اللّغوي وعدم مراعاة القواعد والرّسم الإملائي مع تداخل العامية والفصحى حتّى لا نكاد نفرّق بينهما .

ـ البناء الفنّي :

القراءة الفنّية المتمعنة للحكاية تجعلنا نستنتج أنّ دوافع كتابتها لم تكن أبداً فنيّة فهي أقرب ما

تكون من الكتابات المعبّرة عن مجموعة تجارب إنسانيّة في حدود بيئيّة ضيقة وبمعطيات وظروف حياتية معينة وهذا ما جعل النّقاد يعتبرون الفنّ القصصي في "حكاية العشّاق " **"يتميّز ببساطة وسائله التي غالباً ما كانت تقرّر حقائق اجتماعية ،وتصرّح بوقائع ذات صلة بحياة الإنسان الجزائري في ظلّ المتغيرات التّاريخيّة التي تسير في اتّجاه التّاريخ وإسقاط الأقنعة "** **(1)** . ولأنّ المؤلّف لم يخرج عن القاعدة التي تعوّد كتّاب النّص القصصي الشّعبي الكتابة وفقها فإنّنا وجدنا البناء الفنّي هشّاً وهو الذي يتطلّب إحكاماً للنّسيج القصصي من خلال خلق لحمة بين العناصر السّردية والتي بدورها تسهّل عملية التّواصل بين أطراف العمليّة الإبداعية (المؤلف،النّص،القارئ) ،وعليه راح الأمير مصطفى يكثر من الإستطراد ويطنب في الحديث عن الحبّ وألوانه فذهب بنا بعيداً عن الأحداث داخل الحكاية .

وأخيراً نقول أنّ "حكاية العشّاق في الحبّ والإشتياق" وإن لم ترق فنياً ولكنّها تؤسّس للنّص السّردي الذي سيتطور لاحقاً كما أنّ المستوى اللّغوي فيها كان نتيجة ظروف تاريخية وواقع اجتماعي خاص ومع ذلك يمكن اعتبارهذه الحكاية وثيقة تاريخية تعيننا على دراسة تراثنا الأدبي والفكري والثقافي ورسم معالمنا المستقبلية بكلّ أبعادها .

---

(1) – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص:129 .

المحاضرة الخامسة :

إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء

تمهيد :

موضوع محاضرتنا إلياذة الجزائر أو ملحمة الجزائر للشاعر الكبير شاعر الثورة الجزائرية **"مفدي زكريا"** هذا الرجل المبدع والشّاعر الفذّ الّذي آمن بقضية بلده ، بيقين ثابت ووعي عميق فراح يبدع أشعاراً خالدة تشهد له بالعبقرية وتبقيه دائم الذكر ما تعاقبت الأزمان والدّهور، لقد نظم مفدي روائع ودرر خلّدها التّاريخ وطربت لها الأسماع فحفظتها الذاكرة وتغنّت بها الأجيال ،ومن عبقرية هذا الشّاعر أنّه نظم إلياذته وتناولها في جانبين أساسيين أولهما طبيعة الجزائر وجمالها وثانيهما تاريخ الجزائر ورجالها الّذين صنعوا مجدها ببطولاتهم وتضحياتهم ،وقبل الحديث عن **"إلياذة الجزائر"** سنحاول أن نمهّد لمحاضرتنا بالحديث عن مفهوم الشّعرّ الملحمي كفنّ من فنون الأدب ثمّ نعرّج على بعض المحطات التّاريخية لنتبيّن مراحل تطور هذا الفنّ وما مدى حضوره في أدبنا العربي .

تعريف الملحمة : لغة واصطلاحاً : الشّعر الملحمي فن من فنون الأدب قوامه القصص البطولي ،والأعمال العظيمة الخارقة والسّرد الطويل المتشعب ،وهو حكاية شعب في نضاله

وفي تقدّمه عبر الحياة المتطورة ،وتاريخ لأمجاده وسجل لوقائعه ومآثره بين الشعوب إنّه

"إبداع غير مكتوب لم يجر تثبيته بالكتابة إلا في المرحلة الأخيرة من تطوره" (1)

إنّه يعنى بالإنسان كجماعة لا كفرد ،ويهتم بالعمل الكلّي ،على نقيض ما يفعل الشّعر الغنائي وهو يمجّد الأمّة ويمتدح فضائلها ويتغنّى بما يصدر عنها من عمل ،وفي ذلك مخالفة للشّعر المسرحي أيضاً،لأنّ المسرحيّة تقوم على إبراز عيوب المجتمع وإظهار المتناقضات فيه مع محاولة الوصول إلى الحلول وتغيير الأوضاع بمحاربة الشّر والقضاء على العيوب .

"إنّ الملاحم البطوليّة موجودة عند أكثر الشّعوب ،وهي حكايا شعرية تروي حوادث ذات أهمية من الدّرجة الأولى وقعت في الماضي فكانت نقاط انعطاف في تاريخ الشّعب"(2) .

وعليه فالشّعر الملحمي جماعي المنطلق،فهو يبدأ من الجماعة متوجّهاً نحو الفرد إذ أنّ الشّاعر مختفي عن الأنظار يسرد أخبار الآخرين ،وهو بعيد عنهم،ويترك حريّة التّصرف للأبطال،وعلى النّقيض تماماً نجد الشّاعر الغنائي لا يتخلى عن ذاته فهو ينظر للآخرين من خلالها . ولعلّ ذلك ما جعل الشّعر الملحمي من أقدم الفنون الشّعرية ،فهو شعر الفطرة نشأ في طفولات الشّعوب وتداخل مع تفكيرها البدائي وعبّر عن حياتها قبل أن تتمدّن وتتعقّد .

---

(1) – فؤاد المرعي :المدخل إلى الآداب الأوروبية،منشورات جامعة حلب،ط 2 ، 1417 هـ/1996م ،ص: 23 .

(2) – المرجع نفسه، ص ن .

وعليه يمكننا القول :إنّ الملحمة قصيدة **"تدور أحداثها حول معارك ضخمة وبطولات خارقة خاضها شعب من أجل قضية تتصل بوجوده الإنساني والقومي، ودفاعاً عن مأثوراته ومقدّساته العريقة، وهي إذ تصف المعارك والبطولات تصوّر عصراً بكامله من عصور هذا الشّعب،وما يعيش فيه من تقاليد،ويسعى إليه من مثل ويتبناه من مفاهيم"(1) .**

مراحل تكوّن وتطور الملحمة :

لا يمكن لأيّ فنّ أن يولد مكتمل الأجزاء متوافر الشّروط ،إذ لا بدّ أن يخضع لقانون التّطور فيمر عبر مراحل وحقب زمنية تتأسّس فيها القواعد وتثبت الأصول ،وقد تطور الشّعر الملحميّ بعد ثلاث مراحل : **المرحلة الدينية ،والمرحلة البطولية،والمرحلة الأدبية .**

أ ـ المرحلة الدينية : وهي الفترة الزّمنيّة الّتي سبقت ظهور البشر، فكانت البطولة متجسّدة في آلهة الخير وتمثّلها الشّمس ،وقد توزّعت قواها على عدد من الآلهة تزايدت بمرور الزّمن وبالمقابل توزّعت قوى الشّر على عناصر أخرى متمثّلة في الشّياطين والمردة.....

ب ـ المرحلة البطوليّة : تبلورت فكرة الشّخصيّة الجماعية والمصالح المشتركة بين الأفراد أثناء نشوب الحروب والصراعات بين القبائل البدائيّة من أجل مقومات الحياة ،وفي أثناء

---

(1) ـ ميشال عاصي :الفن والأدب،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط2، 1970،ص:160 .

ذلك ظهرت فئة من الرجال تميّزوا بشجاعتهم وبطولاتهم وصولاتهم وجولاتهم في المعارك فعمدت المخيّلة الجماعيّة لنسج الخوارق والتّغنّي بالأساطير لتنتج الملاحم العجيبة .

ج ـ <u>المرحلة الأدبيّة</u> : وهي خاتمة المراحل وفيها أدرك الإنسان أنّه البطل الحقيقيّ وهو من يصنع مصيره بيده ،فظهرت شعوب صنعت التّاريخ والأمجاد التّليدة وعليه إنتقل موضوع الملحمة من الآلهة وأشباه الآلهة إلى الشعوب وبطولاتهم في الواقع المعيش .

<u>الملحمة في الأدب العربي :</u>

لم يعرف الأدب العربي فنّ الملحمة بشكله الغربي والعرب **"لم يعرفوا الملحمة كبناء في لغتهم الأدبية رغم وفرة المواضيع ،ووفرة العبقريات ،ووقوع الأدب اليوناني بين أيديهم ومعرفتهم له ... ولكنّهم لم يستسيغوا هذا النّوع من الأدب ولم يقلّدوه فظلوا في معزل عنه ،فلا عجب أن يتّهمهم ابن الأثير بالتّقصير في مدى الإطالة الشّعريّة وهم أبناء بطولة وفروسيّة وفيض شعريّ "** **(1)** .

والمتأمل للعصور القديمة وتحديداً العصر الجاهلي سيجد أنّ بيئته كانت تناسب كثيراً وتساعد على ظهورالملحمة،فالعرب في جاهليتهم كانوا أهل فروسيّة وشجاعة وبطولات

---

(1) - جورج غريب : الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،دط ،دت ،ص : 9 .

إلى جانب ذلك سيطرة الفكر الأسطوري والخرافي على عقولهم وقد صحب كل ذلك تفاخر بالأنساب ووصف لميادين القتال مع انتشار الأسواق الّتي ضمّت الشّعراء والخطباء ولكن الفنّ الملحميّ الحقيقيّ لم يعرف في هذا العصر الجاهلي عند العرب .

أما في العصر الحديث فيمكننا الوقوف على بعض المحاولات الشّعرية العربية لكتابة الملحمة ولعلّ من ذلك ما كتبه الأديب المصريّ أحمد محرّم في منتصف القرن العشرين حينما ألّف **الإلياذة الإسلاميّة** في أربعة أجزاء،يحكي فيها سيرة الرسول الكريم ﷺ متحدّثاً عن حياته وهجرته وغزواته والوفود الّتي وفدت عليه (صلى الله عليه وسلّم) ثمّ السرايا الّتي حملت دعوته إلى مختلف البقاع والأمصار .كما نجد أيضاً محاولات أخرى في نظم القصائد القصصية كمحاولة خليل مطران الّذي نظم **فتاة الجبل الأسود** وهي قصيدة قصصية تصوّر بطولة فتاة من الجبل الأسود تنكرت في زيّ شاب وقادت ثورة ضد الأتراك . يضاف إلى هذه المحاولات ما نجده في الأدب الشّعبي من أعمال قد تكون الأقرب للفنّ الملحميّ **كتغريبة بني هلال وما عرف بملحمة عنترة أبي الفوارس .**

وما خلو الأدب العربي من فنّ الملاحم إلا أنّ ذلك لم يمنع من وجود القصائد الطويلة كالمعلقات والّتي تؤرخ للبطولات والوقائع الحربية وغيرها وهي بذلك تلامس الملحمة بوصفها قصة بطولية ومن أمثلة تلك القصائد الخالدة **بائيّة أبي تمّام** في فتح عموريّة

وأرجوزة أحمد شوقي المعنونة ب"دول العرب وعظماء الإسلام" والّتي يفوق عدد أبياتها ألفي بيت شعري وغيرها من المحاولات العربية شرقاً وغرباً .

ومن أبرز أمثلة الملحمة الأدبية الشّعريّة عند العرب في العصر الحديث نذكر بكل فخر واعتزاز **إلياذة الجزائر** لشاعر الثّورة الجزائريّة الشّاعر الفذّ **مفدي زكريا** .فمن يكون هذا الشّاعر المبدع ؟وما محتوى إلياذته الّتي نظمها في تمجيد الجزائر وتاريخها ؟

هو الشّيخ زكرياء بن سليمان بن يحي بن الحاج عيسى يلقّب ب **"شاعر الثّورة الجزائريّة"** وهو مؤلّف النّشيد الوطنيّ الجزائريّ **"قسما"** ولد يوم الجمعة 12يونيو 1908م **ببني يزقن بغرداية في جنوب الجزائر**،لقّبه زميله في الدراسة "سليمان بوجناح" ب **"مفدي"** فصار لقبه الأدبي الّذي اشتهر به، تلقى تعليمه الإبتدائي بمسقط رأسه ثمّ رحل إلى تونس لإستكمال دراسته ،كانت مساهمته فعّالة في الحركتين الأدبية والسّياسية ،تردّد على سّجن الإحتلال مرات عديدة بسبب أفكاره وأشعاره ،فرّ في آخرها منه سنة 1959 م فأرسلته جبهة التّحرير خارج الوطن حيث زار العديد من الدّول العربيّة معرّفاً بالثورة الجزائرية،توفي سنة 1977 بتونس ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ،وشاعرنا **"يعدّ بحق من أبرز الشّعراء في عهد الثّورة وأقواهم صوتاً من الجيل المخضرم، فبعد سكوت طويل ما تزال أسبابه**

مجهولة ظهر في صحافة الثّورة وفي نشيد "قسماً" على أمواج الأثير ،وفي المحافل الأدبية في المشرق والمغرب العربي ،باسم ابن تومرت " (1) .

من آثار مفدي زكرياء في الشّعر : تحت ظلال الزّيتون ـ اللّهب المقدّس ـ من وحي الأطلس ـ النّشيد الوطني "قسماً" وغيرها من الأناشيد والمقطوعات الشّعريّة .

أما آثاره النّثريّة بالإشتراك مع غيره فهي :"الأدب العربي في الجزائر عبر العصور" في أربعة أجزاء و" تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" .

فكرة كتابة الإلياذة :

لقد اشترك في تجسيد فكرة الإلياذة ثلاثة أشخاص تعاونوا على وضع المقاطع التّاريخية خاصة وهؤلاء هم :وزير الشؤون الدينية في فترة حكم الرئيس هواري بومدين **"مولود بلقاسم نايت بلقاسم"** ومن الشقيقة تونس المفكروالمصلح **"عثمان الكعاك"** وبطبيعة الحال شاعرنا **"مفدي زكرياء"** ،وكانت الغاية من هذا العمل تتمثّل في **كتابة تاريخ الجزائر شعراً** وإزالة ما علق به من تزييفات وتشويهات ،وتتكوّن الإلياذة من ألف بيت وبيت تغنّت بأمجاد الجزائر ومقوماتها مع الإشارة لمختلف الحضارات الّتي تعاقبت على أرضها .

---

(1) – أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي،ج10،دار الغرب الإسلامي،ط 1 ، 1988 ، الجزائر،ص:506.

وبالعودة لبداية تجسيد الفكرة نذكر أنّ الوزير مولود بلقاسم نايت بلقاسم إتّصل بمفدي في بداية السبعينيات من القرن الماضي (القرن 20) طالباً منه نظم الإلياذة معبّراً له عن استعداده للتّعاون التّام وتوفير كلّ ما يلزم لتجسيد العمل ،يقول المرحوم مولود قاسم في مقدمة الإلياذة : **"وسمّيناها إلياذة الجزائر وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق ،فبينما هذه الأخيرة أي الإلياذة اليونانية لا تروي إلا الأساطير ،نجد إلياذة الجزائر قد خلّدت أمجاداً حقيقية ،وسطّرت تاريخ وقائع وأحداثاً هي من روائع الدّهر ،لا من خلق الجنّ ،ولا من اصطناع شاعر ،ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان "** (1) .

وقبل أن تكتمل الإلياذة بألف بيت وبيت وحينما بلغت ستمائة وعشرة أبيات ألقاها مفدي على جمع غفير من الحضور في قصر الأمم بالعاصمة الجزائر وبحضور الرئيس الراحل **هواري بومدين** بمناسبة افتتاح الملتقى السّادس للفكر الإسلامي ،وتكرّر المشهد نفسه بمناسبة الذكرى العاشرة لإسترجاع السّيادة الوطنية ،وبعدها واصلت الإلياذة مسيرتها إلى أن اكتملت وطبعت ثمّ ترجمت للفرنسيّة من قبل الأديب الطّاهر بوشوشي كما أنّ الخطّاط الشّهير عبد المجيد غالب هو من خطّها بيده .

---

(1) – مفدي زكريا : إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987 ، ط2 ، ص : 12 .

جمال طبيعة الجزائر وعظمة تاريخها في الإلياذة :

تنقسم الإلياذة إلى قسمين أساسيين :**أولهما** مخصّص لسحر طبيعة الجزائر وتنوّع تضاريسها ومناخها ،وقد جال الشّاعر في ربوع الجزائر من خلال تسعة عشر مقطعاً أبرز من خلالها روعة جمال الجزائر وإبداع الخالق في تصوير كل شبر منها .

ينطلق مفدي من العاصمة الجزائر متجولاً في شوارعها وأزقتها مسترجعاً بعض الذكريات الجميلة ومشيراً في نفس الوقت إلى جرائم الإحتلال وما اقترفه القادة الفرنسيون من تقتيل وإرهاب كلافيجري وماسو وسوستال وغيرهم :

وهل نابليون ومن وسمته يداه،استهان بإصرارنا ؟

استطاع المروق بأطفالنا؟ وهل لافيجري وطول السّنين

ثمّ يتجوّل بنا شاعرنا شرقاً وغرباً ووسطاً وجنوباً ذاكراً لأبرز وأشهر المناطق السّياحية كحمام ملوان وحمام ريغة والشريعة ،وهي حمامات معدنية تتميّز بهوائها العليل ومناظرها الساحرة وهي قبلة لطالبي الإستشفاء بالمياه المعدنية ،وبعدها ينتقل مفدي إلى الشرق الجزائري فيذكر أهم المدن والحواضر التّاريخيّة كبجاية وجيجل وقسنطينة ثمّ يمّم ناحية الغرب متوقفاً عند تلمسان مذكراً بمجدها مع العلامة الغوث أبي مدين وأبي حمو الزّياني وابن خميس الشّاعر دون أن ينسى لؤلؤة الغرب وعاصمته وهران ،كما نجد الشّاعر يذكر

مدينة فاس المغربية للدلالة على أهمية ارتباط أقطار المغرب العربي وقد كان مفدي زكريا من أشدّ المدافعين عن فكرة الإتّحاد المغاربي .

وما يلبث الشّاعر أن يعود بنا إلى الوسط الجزائري فيذكر أشهر مدنه البليدة والمدية وقصر البخاري لينتقل جنوباً إلى الأغواط والجلفة ثمّ إلى مسقط رأسه غرداية فيفخر بانتمائه لها وهي البقعة الّتي جمعت العرب والفرس وفيها أحفاد الرستميّين ومنها يشقّ طريقه نحو الصحراء الكبرى مبرزاً لخيراتها مذكراً برجالاتها وما اكتسبوه من صبر وثبات في هذه الطبيعة القاسية الجميلة .

ويختم الشّاعر هذا القسم الأول من الإلياذة بالمقطع التّاسع عشر وفيه يعبّر عن عميق أحاسيسه وما يكنّه من حبّ دفين وإيمان راسخ للجزائر فيقول :

فيا أيّها النّاس هذي بلادي ومعبد حبّي ،وحلم فؤادي

وإيمان قلبي وخالص ديني ومبناه في ملّتي واعتقادي

أما القسم الثّاني من الإلياذة فيبدأه شاعرنا من المقطع العشرين وقد استعرض فيه الجوانب التّاريخية وما تحمله من محطات وأمجاد عظيمة تظهر مدى أصالة هذه الأرض وشعبها .

بدأ مفدي هذا القسم بمقطع يتحدّث عن تاريخ تأسيس العاصمة الجزائر لينتقل عبر كامل أرجاء الوطن في رحلة تاريخيّة غاية في الرّوعة والتّصوير الفنّي حيث يعود بنا الشّاعر

لفترات زمنيّة موغلة في التّاريخ فيذكر على سبيل المثال أحرار الأمازيغ الّين دافعوا بكل شجاعة عن أرضهم وجابهوا روما بقيادة الأشاوس:ماسينيسا،يوغرطة وتاكفاريناس .

ولا ينسى مفدي ـ وهو يتحدّث عن فترة ما قبل الميلاد ـ أن يذكّرنا بكبير الفلاسفة والكتّاب والمفكرين ورجال الدّين فيذكر القدّيس أوغستين ويوبا الثّاني وأبو ليوس صاح أوّل رواية مكتملة في التّاريخ،ثمّ يشير إلى تأسيس الرستميّين لأول دولة إسلاميّة في المغرب العربي مذكّراً بأعلامها كالشّاعر الفحل بكر بن حمّاد وإمامها أفلح بن عبد الوهاب ولم ينس الشّاعر أيّ شخصية أو دولة قامت في أرض الجزائر إلا أتى على ذكرها فلم يفته الحديث عن الأغالبة أوالحماديين ولم يتجاوز شخصيّة من الشّخصيات البارزة في التاريخ القديم إلى أن يصل للفترة العثمانيّة ثمّ فترة الإحتلال البغيض فيسهب في الحديث عن النّضال السياسي وتأسيس الأحزاب والجمعيات ودورها في تعليم وتوعية أفراد الشّعب ثمّ يعرّج على قيام الثّورة التّحريرية الّتي كانت بمثابة بزوغ فجر جديد غيّر التّاريخ وخلّد أسماء الأبطال كما خلّدت أسماء الأماكن والمناطق الّتي احتضنت أبرز المحطات التّاريخية كمؤتمر الصّومام :

تبارك واديــك صومــام إنّــا حفظنا عهودك أيّان ثرنا

أصومام باسمك صمّم شعـب سياســة ثورتــه فانطلقنا

كما لا ينسى مفدى ما فعله طلبة الجزائر حينما غادروا مقاعد الجامعة والتحقوا بالكفاح المسلّح وكلّ طبقات المجتمع الّتي ناضلت وساهمت في استرداد السّيادة وحتّى فئة المهاجرين خارج الوطن .

لقد حاول شاعر الثّورة مفدي زكريا من خلال هذا العمل أن يبدع لنا إنجازاً تاريخياً وفنياً يرصد تزييف الحقائق التّاريخية ويهدف لتتبع الوقائع والأحداث بموضوعيّة ودون تحريف أو تزييف ،وقد تجلّت في هذا المنجز عبقريّة شاعرنا مفدي وبراعته في توظيف النّص الشعري لحفظ التّاريخ وتخليد أبطاله حتّى تواصل الأجيال المتعاقبة السّير في الطريق الصّحيح متّخذة مثل هذه الأعمال والإنجازات نبراساً تهتدي به .

المحاضرة السّادسة :

ديوان محمّد العيد آل خليفة

تمهيد :

التّاريخ الفكري والأدبي للجزائر حافل بالأعلام الذين تعلّقوا بالوطن فسخّروا أقلامهم وأوقاتهم وجهودهم في سبيل إعلاء كلمة الحقّ والذّود عن الأعراض ونقل معاناة أفراد الشّعب وبخاصة إبان الإحتلال الغاشم،والحقيقة أنّ الأديب مثلاً قد يتحدّث عن نفسه ويعبّر عن ذاتيته ولكنّ ذلك لا يمنعه أبداً من الإرتباط بمن حوله من أبناء جلدته فيخفق قلبه لهم ويتعلّق فكره بمصيرهم**"إنّه الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشّاعر والمجتمع "(1)**

وممّا لاريب فيه أنّ شعراء الجزائر في فترة الحركة الوطنية قد سيطرت عليهم فكرة التّخلى عن ذاتيتهم فضحوا بمشاعرهم الشّخصية مقابل التّفرغ لقضايا الوطن والأمة وعليه تبنى هؤلاء الشعراء موقفاً ثابتاً يكرسون من خلاله فنّهم وإبداعهم لوطنهم مع تحمّل ما ينجم عن ذلك من متابعات ومضايقات قد تصل حدّ التّصفية،ويبدو أنّ اطلالة بسيطة من قبل الدّارس للشعر الجزائري ستجعله يكتشف مجموعة من المبدعين الشّعراء في هذا السّياق

---

(1) – إحسان عباس:اتجاهات الشعر العربي المعاصر،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ع2، 1988،ص:160

لعلّ أبرزهم شاعرنا الكبير **"محمّد العيد آل خليفة"** الذي سنتناول ديوانه الشّعري محاولين في محاضرتنا إلقاء الضوء على أهمّ القضايا والإنشغالات التي استعرضها الشّاعر وما مدى التزامه بقضايا وطنه وخصوصية مواجهته للعدو بقلمه وشعره .

ولكن قبل تناول بعض الأبيات الشّعرية من ديوان "محمد العيد" بالدراسة والتّحليل سنحاول إعطاء نبذة تعريفية موجزة عن الشّاعر،هو محمد العيد بن محمدعلي بن خليفة من مواليد سنة 1904 بالشرق الجزائري وتحديداً مدينة عين البيضاءوفيها تلقى تعليمه الإبتدائي،ثمّ انتقل إلى بسكرة سنة 1918 ومنها غادر إلى تونس ليستكمل دراسته في "جامع الزيتونة" عاد للجزائر بعد سنتين واشتغل في التّعليم والصّحافة،وبعد اندلاع الثّورة ألقي عليه القبض ووضع تحت الإقامة الجبرية ببسكرة حتى الإستقلال،توفي سنة 1979 وقد كان رحمه الله لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ورائداً للشعر الجزائري الحديث ،طبع ديوانه الشّعري لأول مرة سنة 1967.

نماذج شعرية من ديوان محمد العيد آل خليفة :

سبقت الإشارة في بداية المحاضرة إلى دور الأدباء والشّعراء في التّفاعل مع قضايا الأمة والإحساس بآلامها وخاصة في العصر الحديث إذ تعرضت معظم البلاد العربية للإحتلال

فانبرى معظم الأدباء مع شعوبهم يواجهون ويصارعون الواقع المرير بكل الوسائل المتاحة وهذا يعني **"أنّ كثيراً من الأدباء كانوا يعدّون أنفسهم مسؤولين أمام الضمير الشعبي،فهم يصدرون عنه فيما ينظمون ويكتبون"** (1) .

وعليه يمكننا القول إنّ الأدباء قد عاشوا بأحاسيسهم واقع مجتمعاتهم فلم ينعزلوا عن فئات المجتمع بل تفاعلوا وتناولوا تلك الوقائع في كتاباتهم فألزموا أنفسهم برسالة نبيلة تتمثّل **"في إيقاظ حواس الإنسان ومشاعره،ولا يخفي ما لهذه الغاية من أثر في معرفة الإنسان لنفسه،وفي إدراك الصّلة التي تربطه بمجتمعه"** (2) .

وبالتدقيق في معنى الإلتزام سنجد أنّ الأديب والمبدع عموماً لا يعبّر عن أحاسيسه وتجاربه فحسب بل يتطلع ليكون هو ضمير الأمة ولسان حالها والنّاقل لآهاتها ومعاناتها،فينتقل الفنان المبدع من مجرّد متعاطف مع القضية إلى مدافع عنها وصدّاح بحيثياتها ومراميها وهذه هي غاية الأدب المتمثّلة في **"نشدان الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان،ورسالة في الخير أو تحقيق السعادة،وهي غاية الحياة الإنسانية ،لا يحققها الأديب أو يحاول تحقيقها لذات الأديب فحسب ،ولكن أيضاً للجماعة التي ينتسب إليها،للإنسانية كلها إذا استطاع إلى ذلك**

---

(1) – شوقي ضيف : في النقد الأدبي ،دار المعارف، مصر، ط4 ، ص: 196 .

(2) – محمد مصايف:جماعة الديوان في النقد،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،سنة1974،ص:322 .

سبيلا ،وبذلك يستطيع الفنّ الأدبي أن يشارك في بناء المجتمعات ،وصياغة حياتها صياغة جديدة " (1) .

وعليه نستنتج أهمية أن يتعايش المبدع عموماً والأديب خصوصاً مع مجتمعه بل إنّ الإنعزال وعدم الإكتراث بما يحدث من حوله قد يعدّ نوعاً من الأنانية ،فالأديب مرآة تعكس آلام وآمال الأمة،وبالتالي تتجسّد العلاقة التّفاعلية بين الأديب والمجتمع .

إنّ القارئ لشعر آل خليفة سيلتمس هذا التّفاعل والإلتحام بين الشّاعر وما يحيط به فهو من أكثر رجال الإصلاح في الجزائر نشاطاً ودفاعاً عن الوطن بأشعاره حيث جسّد طبيعة المرحلة آنذاك وحارب رفقة إخوانه في جمعية العلماء كل أشكال التّخلف والبدع التي حاول الإحتلال بثّها في صفوف الشّعب كما سعى جاهداً لتحذير الأمة من كل المخاطر المحدقة وما يخطّط له الأعداء وضعاف النّفوس من ضرب الدّين والهوية لبسط النّفوذ والسّيطرة

وهذا ما نجده في الكثير من القصائد منها : **"صدى الصّحراء "** حيث يقول :

أفيقوا فهذا الدّين بين ربوعكم تنازله الأحداث شرّ نزال

تحاول نكبــاء الضّلالة نسفــه وترميه أشلاءالرّدى بنبال

فقوموا مقامات الدّفع حياله ليأمن هذا الدّين كلّ ضلال (1) .

---

(1) – بدوي طبانة :قضايا النقد الأدبي ،دار المريخ ،الرياض 1984 ،ص: 20 .

يدرك الشّاعر النّوايا الخبيثة للمحتل الذي يسعى لمسخ الهوية الدينية والشّخصية الوطنية بشتى الطّرق المتاحة،وقد ساعدهم في ذلك بعض مشايخ الزوايا الطرقية الذين تحالفوا مع العدو بغية تحقيق المآرب الشخصية ممّا أثّر على فئات من أفراد الشّعب حيث سادت الفوضى العقدية،ولكنّ الشرفاء من أبناء الجزائر وقفوا موقف الأبطال كشاعرنا الذي يحذّر في الأبيات السابقة من الوضع العام وما آل إليه وضع الدين،إذ تتحالف القوى الصليبية ومن يواليها للقضاء على كلّ ماهو إسلامي عربي،ولهذا يدعوا الشّاعر أفراد الأمة للنهوض دفاعاً عن الدين والشّرف والهوية فبدونها تفقد الأمة سعادتها بل وجودها وعليه لا سبيل للخلاص إلا بمواجهة كيد الأعداء وضلالات المنحرفين من أجل استرجاع الكرامة وهو ما يتمناه الشّاعر حيث نلمس جزئية تحمّل المسؤولية في الدّفاع عن مقدّسات الأمة،ولعلّ ذلك يثبت مدى تفاعل الشّاعر مع محيطه والإحساس العميق والمسؤول لما آلت إليه الأوضاع . وفي نفس السّياق سنجد الشّاعر محمد العيد آل خليفة يخاطب فئة الطّلاب فيدعوهم لتحمّل المسؤولية في سبيل النهوض بالأمة وذلك في قصيدة بعنوان "يا معشر الشباب" يقول في

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،مطبعة البعث،قسنطينة،1967،ص:13 .

بعض أبياتها : **يا معشر الطّلاب هل من ناهض بالشّـعب حـرّ حافـظ لذمامــه**

أو باعث في الشّعب روح إباية منكم فموت الشّعب في استسلامه

ما عاثت الذؤبــان فــي أغنامــه لو كانــت اللآســاد فــي آجامــه (1)

لقد عاث الإحتلال الغاشم في الأرض فساداً وأذاق الجزائريين أبشع ضروب التّعذيب والقهر وقد شملت هذه المعاملة القاسية كلّ أشكال الحياة ولكنّها كانت أشد في المجال الثّقافي والتّربوي لأنّ فرنسا كانت على يقين **" أنّ العلم سيف قاطع،فإذا تسلّح به الجزائري أمكنه من المقاومة ،فسعت حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية "** (2) .

ورغم هذه الأوضاع المزرية وتراجع التعليم في الجزائر إلا أنّنا نلحظ ثقة الشّاعر في فئة الطّلاب ومخاطبته إيّاهم لتحميلهم المسؤولية وتذكيرهم بما ينتظره منهم شعبهم ،فحضور المثقف وعدم استسلامه للضغوط هو بمثابة الجسر الممتد بين أبناء الوطن الواحد وهو دليل على أنّ المثقف هو وسيلة من وسائل التغيير والتّعبير .

وإلى جانب الإهتمام بالواقع الدّيني والثّقافي سنجد في ديوان آل خليفة اهتماماً بالواقع الإجتماعي في قصيدة بعنوان (منظر تاعس ناعس) يدعو فيها للتكافل الإجتماعي قائلاً:

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة،ص: 90 .

(2) – محمد الطمار:تاريخ الأدب الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981،ص: 326 .

يا أيّها المثرون هبّوا إلى إسعاف أهل الفقر فالفقر ناب

ونال من إخوانكم واحتوى عليـهم والفقـر أسّ الخـراب

فاستصرخواالهمّة في برهم وأيّدوا في الخير كلّ اكتتاب

وأكرمـوا في الله سبحانـــه عبــاده يكرمــكــم بالثّــواب (1)

لقد تأثّر الشّاعر للحالة المزرية التي عاشها الجزائريون في فترة الإحتلال حيث انتشرت المفاسد والآفات الاجتماعية وعلى رأسها الفقر،فالمحتلّ البغيض عمل على تجويع النّاس وتفقيرهم حتّى يتحكم في الأوضاع ويخضع الجميع لسلطته وجبروته ولكنّ أصحاب الهمم العالية من العلماء والمصلحين تفطنوا لسياسة العدو الخبيث وخططه لتضعيف الجبهة الاجتماعية فحرصوا على تذكير أفراد الشّعب بما يمليه عليهم دينهم في باب التّكافل وإغاثة الملهوف ورعاية الفئات الضعيفة ولهذا توجه شاعرنا بخطابه للأثرياء يحثّهم على البذل والإنفاق لتخليص الفقراء من فقرهم وبالتّالي تمتين شبكة العلاقات الإجتماعية فالتّقرب من الفقراء والسؤال عن أحوالهم يعيد اللّحمة والتّآزر بين النّاس ويعمّم الخير ويعين على مواجهة الأعداء ،وهذه صورة أخرى من صور التّفاعل الإيجابي بين الأدب والمجتمع .

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص:30 .

أدرك شاعرنا وهو أحد رجالات التعليم والعضو البارز في جمعية العلماء المسلمين أدرك أهمية العلم في بناء الأمة وبعثها من سباتها العميق،والحقيقة أنّ آل خليفة هو أكثر الشعراء الجزائريين التزاما بالقضايا الحساسة والمصيرية للوطن،ومن النّماذج الشعرية في هذا السّياق نأخذ من ديوانه مقطعاً من قصيدة بعنوان"ومن العم للمواطن تاج" يقول فيها :

إنّ في العصر آية لبني الشّرق ولكنّهم عـن الذكـر حادوا

نفخ الصّـور للقيـامة فـي الأر ض وقامت من القبور العباد

ودوّى العلم في السماوات والأر ض وردّت دويّـه الأبـعـاد

هتف البرق باسمك الخالد السّا مي وحيّـاك بالغنـاء الرّادو

وغزا الغـاز تحت بـندك وأنطا د إلى أوجّ خلـدك المنطـاد (1)

في الأبيات السابقة إشارة واضحة من الشّاعر لما تعانيه الأمة من غفلة في مجال الإطلاع على العلوم والمعارف عكس الأمم الأخرى التي اكتشفت وطوّرت وسائل لا يمكن الاستغناء عنها فلما لا نسير على طريقهم وننسج على منوالهم في ميدان العلوم والمعارف.

لقد تجاوز الشّاعر محمد العيد آل خليفة الحدود الفنية والجمالية لقول الشّعر فأضحى يحمل

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة: ص :118 .

همّاً ويؤدّي رسالة يحاول من خلالها إصلاح المجتمع وأفراده والسّعي لتنوير العقول الجامدة التي عشّش فيها الجهل وسكنتها الأوهام والخزعبلات .

وعلى صعيد آخر لا يمكن أن نغفل البعد القومي في ديوان الشّاعر محمد العيد آل خليفة وهو رجل الإصلاح الملتزم والمتمسّك بل والمدافع عن قضايا الوطن والأمة فشاعرنا يحنّ في قصائده للشرق الذي يمثّل بالنسبة له العروبة والإسلام ولا يمكن أبداً أن يرتاح في ظلّ هذه الفرقة والشّتات السّائد بين أبناء الأمة الواحدة ،حيث يقول في هذا الشّأن :

أرى داء الشّقاق بنا تفشّى فكيف يكون لنا منه التوقي ؟

بني الإسلام خلّوا الخلف إنّا إلى الإسلام نعزى دون فرق

ولو أنّا على الحـقّ اتّفقنـا لكنّـا قادة الدّنـيا بـحـق (1)

يدعو الشّاعر المسلمين إلى نبذ الفرقة والشّقاق ،الذي يراه مرضاً خطيراً ينخر جسد الأمة ولا بدّ من علاجه ،فالمسلمون كيان واحد لا يتجزّأ أبداً ولكنّهم خرجوا عن الطّريق المستقيم وابتعدوا عن تعاليم الدّين الحنيف فضاعوا ،ولوا عادوا للحقّ مرة أخرى لعادت لهم السّيادة من جديد فعزهم في التّمسك بتعاليم الدّين،ويبدو أنّ الارتباط والحنين للشرق جعل الشّاعر

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة: ص: 84

كغيره من الشعراء العرب يهيم بأرض المقدس ويتألم لحال أرض الأنبياء ومسرى رسولنا الكريم "ﷺ " كيف لا وقد جرّبت الجزائر آلام الإحتلال وذاقت ويلاته فلا عجب إن أبدع شاعر الجزائر قصيدة يدعو فيها الجزائر أن تشدّ جناحيها لنصرة القدس المروعة التي تعاني كل أشكال الظّلم والجبروت الصهيوني فيقول :

هلاّ أغثت القدس منـــك بلفتــة غيرى على شعب هناك مروّع

القبلة الأولى تضـــجّ وتشتكـــي من قسمة المستأثر المستنفع

ضمّي احتجاجك لاحتجاج حماتها واستنكري تقسيمه واستفظعي (1)

هذه الصّرخة المدوّية من شاعرنا لا غرابة فيها لأنّ فلسطين هي القلب النابض لكل عربي ومسلم حرّ لا يرضى أن يقع الظلم على أي شبر من أرض المسلمين،ويبدو أن أن وضع الجزائر المحتلة لم ينسي شاعرنا قضايا أمته العربية الإسلامية .

وأخيراً نقول إنّ النّماذج التي استعرضناها من ديوان آل خليفة هي قليل من كثير فالماضيع التي نظم فيها شاعرنا متنوّعة وثرية ثراء التجربة الشعرية لهذا المبدع الجزائري الأصيل الملتزم بقضايا الأمة والمستلهم من روح الشّعب وصبره على الشّدائد المؤمن بعظمة الدّين ومستقبل الأمة لذلك كلّه استحقّ أن يكون صوت الشّعب وضمير الأمة الحيّ .

---

(1) – ديوان محمد العيد آل خليفة: ص:147 .

المحاضرة السّابعة :

عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي

تمهيد :

تلعب المصادر التاريخية بمختلف أشكالها دوراً محورياً وأساسياً في كتابة وترسيخ تاريخ الأمم والشعوب لأنها ترصد الأحداث وتتتبع تطوراتها لحظة بلحظة،وانطلاقاً من هذه الفكرة سنلج في محاضرتنا عالم الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز رواد الإصلاح في الجزائر وسنتطرق لبعض ما كتب في "عيون البصائر" التي تعدّ مرجعاً مهماً يتضمّن مادة ثرية سجّلت العديد من المحطّات التّاريخية الشاهدة على تاريخ جزائري حافل بالنضال والتضحيات الجسام،وسنحاول إبراز قيمة عيون البصائر كوثيقة ومصدر تاريخي تضمّن مجموعة من المقالات القيّمة إذ سنطرح بعض التّساؤلات على النّحو التّالي :

ـ كيف ساهمت عيون البصائر في إبراز دور الشّيخ الإبراهيمي في الحركة الوطنية ؟

ـ وما مدى تمكّن الدّارس من تتبع المسيرة النّضالية للشيخ من خلال عيون البصائر ؟

ـ وأخيراً ما هي القيمة التاريخية لعيون البصائر ودورها في بناء الحركة الوطنية ؟

ولكن قبل الإجابة عن هذه الانشغالات جدير بنا أن نستعرض على عجالة بعض المحطّات الهامة في حياة الشيخ الإبراهيمي وأبرز الإنجازات التي حقّقها .

حياة الشيخ الإبراهيمي في سطور :

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في 13جوان 1889 بقرية "أولاد براهيم" بولاية سطيف شرق الجزائر لعائلة بسيطة متمسّكة بالذكر الحكيم ومبجلة للعلم والعلماء،ولعلّ هذه البيئة ساعدت الإبراهيمي لحفظ القرآن الكريم وهو لا يزال في السابعة من العمر ،وقد تتلمذ على يد والده وعمّه المكي،وعندما بلغ العشرين من عمره شدّ الرّحال لبلادالحجاز لمواصلة تعليمه وهناك تفتّقت مواهبه وبرزت عبقريته فأشاد به مشايخه،وأثناء موسم الحج سنة1913 كان اللّقاء الكبير بينه وبين العلامة ابن باديس في المدينة المنورة التي غادرها في أواخر سنة1916 قاصداً دمشق حيث اشتغل بالتّدريس كما ألقى بعض الخطب والمواعظ بالجامع الأموي،عاد إلى أرض الوطن بدايةعام1920 محمّلاً بزاد معرفي علمي وإصلاحي وتعاون مع ثلة من العلماء والمصلحين على مواجهة العدو فأسّسوا جمعية العماء المسلمين الجزائريين سنة1931م ،ونتيجة لنشاطه الكبير ألقت سلطات الإحتلال القبض عليه ونفي إلى منطقة أفلو بالجنوب الجزائري كان ذلك سنة 1940 ومكث هناك ثلاثة أعوام،عيّن رئيساً للجمعية بعد وفاة الشيخ ابن باديس كما أعاد إصدار جريدة البصائر عام 1947م وأسّس معهد ابن باديس بقسنطينة .عاد مرة أخري للمشرق العربي بعدما زار باريس سنة1952 بمناسبة انعقاد اجتماع منظمة الأمم المتحدة حيث اغتنم الفرصة للقاء

الوفود العربية وشرح القضية الوطنية وظروف معاناة الشعب الجزائري وعليه دعاه القادة العرب لزيارة بلدانهم فقام بجولة هامة في المنطقة العربية حرص من خلالها على جمع أكبر قدر من المساعدات للثورة المباركة.بعد الإستقلال عاد الشيخ الإبراهيمي للجزائر أواخر 1962 وقد أمّ النّاس في أوّل صلاة جمعة بجامع "كتشاوة" وبعدها لزم بيته إلى أن حان أجله بتاريخ:19ماي1965م ودفن بالعاصمة الجزائر رحمه الله .

كتاب "عيون البصائر"ومواقف الشيخ الإبراهيمي من القضايا الوطنية :

كتاب "عيون البصائر" هو مجموعة من المقالات للشيخ الإبراهيمي كتبها كإفتتاحيات لجريدة البصائر في سلسلتها الثانية (1947 – 1956)والتي كانت رئاسة تحريرها للشيخ "مبارك الميلي" أما إصدارها فكان أسبوعي عن المطبعة العربية بالجزائر العاصمة .

تعدّ جريدة البصائر **"أطول جريدة لجمعية العلماء وأعرضها شهرة وأرقاها كتابة وقد تكون أرقى جريدة عربية بالجزائر في تاريخها الحديث حيث استقطبت أهم الأقلام الجزائرية وأكبرها شأناً وأرصنها تفكيراً"** (1) .

---

(1) – أمين معلوف:التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين (1931 –1956)كلية العلوم السياسية والإعلام،جامعة يوسف بن خدة،الجزائر،2008م ،ص: 150 .

صدر العدد الأول من جريدة البصائر في سلسلتها الثانية يوم 25نوفمبر1947م واستمرت الجريدة في الصدور أسبوعياً على مدار تسع سنوات كانت محصّلتها 366عدداً وكم هائل من المقالات التي عالجت قضايا متنوعة إصلاحية بالدّرجة الأولى ولكنّنا نجد منها أيضاً ما هو سياسي واجتماعي وثقافي وغيرها من المجالات كما كان للجريدة بعد واهتمام مغاربي وعربي .وبالعودة لكتاب عيون البصائر الذي قدّمه نجل الشيخ الإبراهيمي والوزير الأسبق في الجزائرالدكتور أحمد طالب الإبراهيمي سنجد عدد المقالات لا يتجاوز 139عدد ،وقد برّر الدكتور أحمد طالب ذلك بقوله:**"لقد أثرت أن أتجاوز عن كثير من النقاط حرصاً على موضوعية هذه الكلمة "(1)** .

استهل الدكتور كتاب "عيون البصائر"بقصيدة شعرية لمحمد العيد آل خليفة تحت عنوان "مشاعل حكمة" وبعدها أدرج مجموعة من المقالات تبرز مواقف الشيخ الإبراهيمي ودوره في قضايا كثيرة سياسية ودينية واجتماعية وثقافية وسنحاول عرض أبرزهذه المواقف ومن ثمّة مناقشتها وتحليلها كما يلي :

أ ـ القضايا ذات البعد السياسي :

كان الشيخ الإبراهيمي شديد الإيمان بالقضية الوطنية كما كان يدرك (رحمه الله) أن طريق

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي:تقديم:عيون البصائر:(د،ط)،دار الأمة،برج الكيفان،الجزائر،2007،ص:9 .

النّضال طويلة وشاقة وهذا ما يفسّر نشاطه الكثيف وسعيه الحثيث لدى الأشقاء العرب بشكل خاص ولدى بقية الشعوب المتعاطفة مع الجزائر من أجل تدويل القضية وإيجاد مصادر لتموين الثورة بما تحتاج من المساعدات،لقد كان الإبراهيمي ـ حسب عيون البصائر ـ ينظر للعمل السياسي على أنّه وسيلة لبلوغ هدف أسمى هو **"إيجاد أمّة تتشبث بمقاومتهاوذاتيتها التي هي شرط لوجودها واستمرارها"** (1)

وتعدّ مشاركة الإبراهيمي في المؤتمر الإسلامي سنة1936 بمثابة الحدث السياسي الأكبر آنذاك حيث كان يسعى لتوحيد الصفوف وتكوين جبهة داخلية قوية لمواجهة الإحتلال ولهذا اعتبر الشيخ هذا المؤتمر ناجحاً حين صرّح قائلا:**"وارتفع صوت المطالبة بالحقوق جهيراً وتقارب السياسيون تقارباً لم يعهد مثيله"** (2)

لقد كان الشيخ حريصاً في مسألة الإتحاد لمواجهة العدو فكان يرى أنّ جمعية العلماء فوق الأحزاب كلّها،ولم يكن يقصد فوقية التّعالي بل يقصد فوقية الإرشاد والنّصيحة وحلّ النّزاعات بين الأشقاء،وفي هذا السّياق كتب الإبراهيمي في أواخر1947م مقالين:أحدهما بعنوان"دعوة صارخة إلى إتحاد الأحزاب والهيئات" والثّاني بعنوان"دعوة مكررة للإتحاد"

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر،ص: 44 .

(2) – المصدر نفسه،ص:401 .

وقد حثّ في المقالين أبناء الوطن الواحد لوضع الخلافات جانباً وتناسي الصراعات ووضع اليد في اليد من أجل الجزائرفقال:**"وها نحن أولاء نرى خصوم القضية الجزائرية من أئمة الإستعمار قد جمعوا صفوفهم وأجمعوا أمرهم على حرب قضيتنا،إنهم قد تداعوا جهرة إلى الإتحاد هنا كما اتحدوا هناك إلى إحباط برامجكم فنجحوا،وعلى تخييب مطالبكم فأفلحوا"(1)**

هذا الوعي السياسي العميق هو نتيجة فهم عميق أيضاً من قبل الشيخ الإبراهيمي لنوايا فرنسا وتبنيها لسياسة "فرق تسد" وعليه بذل الإبراهيمي جهوداً مضنية في سبيل لمّ الشّمل وتوحيد قادة الأحزاب خاصة وتحميلهم المسؤولية التاريخية المتعلقة بمصير الأمة ولذلك كان يؤكد باستمرار أنّ **"مصلحة الوطن قبل مصلحة الحزب وأنّ مصلحة الحزب قبل مصلحة الشّخص" (2)** . هذا النّشاط السياسي الكبير للشيخ الإبراهيمي كان من منطلق تعلّقه الشديد بوطنه وحرصه على آداء الواجب تجاه الشعب المغلوب على أمره،فثقافة الشيخ ومعرفته وما حباه به الله من فطنة كل ذلك حاول أن يسخّره لوطنه وأفراد شعبه، فكانت تلك المقالات السياسية قوية وأحياناً لاذعة للإحتلال وأذنابه .

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي :عيون البصائر، ص: 332 .

(2) – المصدر نفسه ، ص: 335 .

ب ـ القضايا الإصلاحية والثّقافية :

تضمّ عيون البصائر عدداً من المقالات التي اهتمت بالتعليم العربي الحرّ فالشيخ الإبراهيمي كان لا يكلّ ولا يملّ من مطالبة الفرنسيين بفتح المجال لأبناء الجزائر في المدارس العربية الحرّة وعدم التضييق عليهم،لأنّه كان يؤمن أنّ هذا النّوع من التعليم هو أساس التعليم الديني وأنّ الأمة الجزائرية لا تستغني عنه **"وخلاصة رأي جمعية العلماء في التعليم العربي أنه أصبح ضرورة من ضرورات الأمة وأنّ القرارات المتعلقة به كلّها ترمي إلى التضييق عليه وقتله "(1)** . لم يكن هذا الاهتمام بالتّعليم العربي الحرّ أمراً اعتباطيا فالإبراهيمي كان مقتنعاً تماماً أنّ سبيل المحافظة على الهوية وصون اللّغة العربية والدّين الإسلامي هو التمسّك بالتعليم العربي وتعميمه على كافة أنحاء الوطن والسّماح لكل أبناء الجزائر بتعلّم لغتهم وتعاليم دينهم،والهدف الأسمى وراء كل ذلك هو إحداث ثورة إصلاحية ثقافية تعليمية لنشر الوعي بين أفراد المجتمع وتثقيفه وبذلك نهيّأ للأجيال الصاعدة الأسس المتينة **"بتعلم لغتهم وأمور دينهم وبترسيخ هذين العنصرين نحمى الأجيال الصاعدة حاضراً ومستقبلاً مما قد يصيبها من محاولات المسخ والتّشويه من قبل المستعمر "(2)** .

---

(1) ـ محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر،ص:26 .

(2) ـ عثمان سعدي:جمعية العلماء المسلمين وعروبة الجزائر،دار الهدى،الجزائر،2003،ص:103 .

وإلى جانب قضية التّعليم العربي الحرّ في الجزائر سنجد قضية أخرى من قضايا الإصلاح والثقافة وهي قضية إصلاح المجتمع وتخليصه من البدع والضلالات التي انتشرت بين النّاس وكان لها الأثر السّلبي في إبعادهم عن تعاليم دينهم وانشغالهم عن مخططات عدوهم الّذي شجّع هذه الخرافات بمعية البعض من ضعاف النّفوس،حتّى يجد الظروف مواتية لإحكام سيطرته دون مقاومة أو مواجهة،ولعلّ هذا ما يؤكد توجه الشيخ ابن باديس من قبل **"فالغرض من تأسيس الجمعية هو محاربة الخرافات والشّعوذة التي عمّت البلاد نتيجة أعمال المنحرفين" (1) .**

لقد تنبّه الشيخ الإبراهيمي لخطورة تلك الفرق الضّالة المضلّة والتي تتستّر بالدّين وتحاول نشر البدع في أوساط فئات الشّعب الأمّي، فراح يحاربها بلا هوادة ويسعى لفضحها وخاصة في الغرب الجزائري إذ تعمل هذه الفئات على إقامة الولائم والتّجمعات بغرض ابتزاز أموال النّاس بطرق ملتوية،وقد شبّه الإبراهيمي هذه التّجمعات بأعراس الشيطان حيث يقول: **"هذه الزردة التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشّيطان وولائمه وكلّ ما يقع فيها رجس من عمل الشّيطان ."(2) .**

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر،ص:165 .

(2) – عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى،منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر،1996،ص:110

لم تكن تلك الفرق الضّالة لتنجح وإن وقفت وراءها فرنسا لأنّ جمعية العلماء تمكنت من دحرها وإفشال مسعاها ومسعى من يدعّمها (فرنسا)،حيث اجتهد العلماء الأفاضل لمحاربة تلك البدع والخرافات التي كان أذناب فرنسا ينشرونها وسط أفراد الشعب الأمي المغلوب على أمره وفي هذا الشأن يقول الإبراهيمي :**"فقد فرغنا منها هدماً وتخريباًواقتحمنا عليها معاقلها الحصينة ودككنا صياصيها المنيعة واستبحنا حماها بكلمة الله،وأقمنا على أنقاضها بناء الحق"(1)** وعليه يتّضح لنا هدف الجمعية ومشايخها لتخليص الدّين الحنيف من الأكاذيب وتنوير عقول النّاس للتخلّص من هذا الاحتلال الرّوحي الذي لا يقل خطورة عن الاحتلال العسكري فهو يدعمه ويهيّأ له الأرضيّة ليستمر ويتقوى .

القضايا المتعلّقة بمواقف الإبراهيمي من سياسة الاحتلال :

المتصفّح لعيون البصائر سيلمس لا محالة ذلك الاهتمام الكبير والوعي العميق لدي الشيخ الإبراهيمي حيال سياسة فرنسا ومخطّطاتها الجهنمية،إذ تنبّه الشيخ لما يحاك ضد الشّعب الجزائري فراح يحارب بشراسة مساعي الاحتلال المتمثّلة في : فرنسة الجزائر من خلال محاربة اللّغة العربية والدّين الإسلامي بغية القضاء على الهوية العربية الإسلامية ومن ثمّة انطلاق مخطّط التّنصير وإدماج المجتمع كليّة في الشّخصيّة الفرنسية أي (الاستلاب الكلّي).

---

(1) – أحمد حماني:الصراع بين السنّة والبدعة،ج2،ط1،دار البعث قسنطينة،الجزائر،1984،ص:24 .

تمادت فرنسا في غيّها وشرعت تطبّق على أرض الواقع مخطّطاتها فكان قرار"شوطان" الذي اعتبر اللّغة العربية أجنبية في أرضها وعمل على تعويضها باللّغة الفرنسية كما سعى الاحتلال للقضاء على التّعليم العربي بكل أشكاله فلا تقوم بذلك للجزائريين قائمة،وتسهل عمليّة السيطرة والتّحكم في مصائر النّاس بتجهيلهم وإضعافهم مادياً ومعنوياً .

لقد تصدّى الشيخ الإبراهيمي بشراسة لسياسة فرنسا (فرنسة،تنصير،إدماج) فواجه مزاعمها بكون اللّغة العربية لغة ميّتة ولا صلة لها بالقطر العربي فقال :**"اللّغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدّة الوجود في الماضي مشتدّة الأواخي مع الحاضر،طويلة الأفنان في المستقبل"(1)** .

ولم يكن دفاع الإبراهيمي عن الدّين الإسلامي أقلّ من دفاعه عن اللّغة العربية،لأنّه واجه حملات التبشير والإلحاد التي استهدفت أخلاق المسلمين بما أنّها مصدر قوّتهم وثباتهم،ولقد ثبت في فهم الشيخ أنّ التبشير والاحتلال وجهان لعملة واحدة فها متلازمان وسياسة فرنسا التّوسعية لا تقوم إلا بإضعاف الجزائريين عقائدياً وأخلاقياً وهذا دور رجال الكنيسة،وعليه خلص الإبراهيمي إلى أنّ مخطّط فرنسا واضح ويسعى لتنصير الجزائر واحتلالها وجعلها قطعة من فرنسا ،يقول الإبراهيمي:**"ولقد جاء قوّاد الاحتلال وفي أيديهم الأسلحة القاتلة**

---

(1) – عبد الحميد زوزو:تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2012،ص:76

وعلى ألسنتهم الوعود الكاذبة،وفي حقائبهم القوانين التي يعاملون بها الإسلام،مكلّ ذلك مدبّر من وراء البحر قبل خوض البحر"(1) . **لم** يهدأ الإبراهيمي أبداً وهو يواجه شراسة التبشير والتنصير لأنّه كان على يقين أنّ الأمر جلل ولهذا نجده لا يتوانى في نعت فرنسا بأبشع النّعوت فهي في نظره الشيطان الملعون والاستعمار شر وأنّه إبليس ....

سعى الإبراهيمي لكشف نوايا العدو والتّشهير بأعماله التّخريبية ومخطّطاته التّدميرية فكانت كلّ مقالاته وخطبه ومواعظه ناقمة على فرنسا مستنهضة لهمم الجزائريين،ولهذا يعد الشيخ من علماء الجزائر الذين حفظوا لها لغتها ودينها من التّنصير والطّمس والإستلاب .

وعليه نخلص إلى أنّ "عيون البصائر" وثيقة أساسية ومرجعية تتضمن كمّاً من المعلومات عن الحركة الوطنية،كما أنّها تظهر مكانة الشيخ الإبراهيمي ودوره المحوري في مواجهة الاحتلال كعالم فذّ وهبه الله بصيرة نافذة ورؤية ثاقبة سخرها لخدمة دينه ووطنه . فرحم الله الشيخ الإبراهيمي وجازاه عن العقيدة والعروبة أفضل الجزاء .

---

(1) – محمد بن ناصر الشقري:التنصير في البلاد الإسلامية،ط1،دار الحبيب،الرياض،السعودية،1998،ص:5

المحاضرة الثّامنة:

"غادة أمّ القرى" أحمد رضا حوحو

تمهيد :

لم تكن مواجهة الاحتلال الفرنسي في الجزائر مقتصرة على حمل السلاح،لأن الجزائريين آمنوا بقدرتهم على دحر فرنسا وطردها من ديارهم ولهذا السبب ظهرت أصناف المقاومة الشعبية المتعدّدة ومنها نجد فئة العلماء والمفكرين والمثقفين ومع قلتهم ولكنّهم تفطنوا لحاجة الجزائر لهم،فالشعب الأمي المغلوب على أمره لا بدّ له من سراج يضيء له الطريق وسط هذه الأمواج العاتية والعواصف المدمّرة،ولا شكّ أنّ أبناء الجزائر من المتعلّمين والمثقفين آنذاك تحملوا مسؤوليتهم وقاموا لأداء واجبهم فسخّروا أفكارهم وأقلامهم لانتشال أفراد الأمة من مخالب العدو فكانت الكتابات الصّحفية والأدبية القصصية شكلاً من أشكال تلك المقاومة التي تواجه محاولات الطّمس والخنوع الممارس من قبل سلطات الاحتلال،وهنا يبرز لنا علم من أعلام الكتابة الصّحفية والقصصية في الجزائر الأديب الشهيد**"أحمد رضا حوحو"** الذي وظّف إلمامه بالثّقافة الغربية وتحصيله العلمي والمعرفي العربي لخدمة وطنه فمواجهة العدو لا تكون إلا بمنهج علميّ تربويّ تتجسّد من خلاله الطريقة المثلى للردّ على ثقافة الإقصاء الفرنسية التي لا تعترف بقدرة الآخر على الإنتاج والإبداع كيفما كان نوعه وأديبنا

أحمد رضا حوحو كان قلمه لاذعاً ودفاعه عن الجزائر شرساً فكانت النتيجة الحتمية غدر وطعن في الظهر،وسنحاول في محاضرتنا الوقوف عند بعض المحطّات النّضالية لهذا الرّجل المفكر والمصلح ثمّ نعرّج على المحطّات الإبداعية والأدبية ومنها **"غادة أم القرى"** بوصفها النّص القصصي الذي مهّد لتطور فنّ القصّ والرواية في الجزائر .

الأديب "أحمد رضا حوحو" في سطور :

ولد أحمد رضا حوحو في 15 ديسمبر 1910م بسيدي عقبة ولاية بسكرة إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الجزائرية،كان والده "محمد" كبير أعيان قبيلة "أولاد العربي" وقد تمكّن الصّغير أحمد من تحصيل ثقافة مزدوجة عربية وفرنسية فكان من المحظوظين بين أقرانه آنذاك،ولكنّه لم يتمكن من مواصلة الدراسة الثانوية فاشتغل موظّفاً بمصلحة البريد .

كان حوحو شغوفاً بالقراءة والكتابة وحضور الدروس والمواعظ في المسجد فكوّن بذلك رصيداً علمياً ومعرفياً كما كانت له نشاطات جمعوية وخاصة في مجال التّمثيل المسرحي .

هاجر حوحو رفقة أسرته إلى "المدينة المنورة" تلبية لرغبة والده وهناك انضمّ لمدرسة العلوم الشرعية وبعد تخرجه عيّن بها أستاذاًكما عيّن سكرتير تحرير بمجلة المنهل الصادرة بالمدينة المنورة وقد كان لهذا التّوظيف الأثر البالغ في مسيرته العلمية وإبراز قدراته وإبداعه،بعدما فقد أديبنا والديه في الحجاز حرّكه الشّوق والحنين للوطن فقفل راجعاً

للجزائر سنة 1946م وقد انضمّ لجمعية العلماء وكان على موعد مع التاريخ حينما أصبح كاتباً عاماً لمعهد ابن باديس في قسنطينة سنة 1947م حيث أتيحت له الفرصة للمساهمة في رسالة الإصلاح والتغيير التي أسّس لها مشايخ الجمعية آنفاً،استمر نشاط حوحو الأدبي الإصلاحي والفكري إلى أن ألقي عليه القبض وأعدم رفقة مجموعة من وجهاء قسنطينة فسقط شهيداً في 29 مارس سنة 1956م .

<u>رواية "غادة أم القرى" وصورة المرأة العربية</u> :

كثيرة هي الأقلام الأدبية التي تناولت موضوع المرأة في وطننا العربي،ولعلّ الأوضاع الاجتماعية والنّفسية خاصّة هي من حفّز العديد من الكتّاب للدفاع عن "حواء" ووضعها في مكانتها حيث **"لعبت التقاليد البالية والمتوارثة دوراً كبيراً في تحطيم مقامها الاجتماعي و العاطفي بسلبها إرادتها التي أصبحت لا تملك حيالها شيئاً"** (1) .

ويعدّ أديبنا الشهيد أحمد رضا حوحو من أوائل الأدباء الجزائريين الذين انتبهوا لوضع المرأة في بلده فحرص على نقل تلك المعاناة **"إنّه سؤال المرأة الأساسي والذي يبدو أنّه لم ينل كلّ حظّه من التّحليل والمراجعة في المجتمع الإسلامي"**(2) .

---

(1) – أحمد طالب:الإلتزام في القصة الجزائرية المعاصرة،(1931 – 1976)،ديوان المطبوعات الجامعية،ص:144 .

(2) - آسيا موساي:"أحمد رضا حوحو الأعمال الكاملة"،منشورات الإختلاف،الجزائر،1983،ص:9 .

ويتجلى هذا الاهتمام بالمرأة بشكل واضح في "غادة أم القرى" وهي القصة التي تناول فيها حوحو وضع المرأة الحجازية ومن خلالها المرأة الجزائرية كما يعلن في الإهداء،وقد صوّرت القصّة معاناة المرأة العربية وحرمانها من أبسط حقوقها آنذاك كالتّعليم والحرية والتّعبير عن المشاعر وغيرها،جسّد الكاتب معاناة المرأة اجتماعياً في واقع تكبّله وتسيطر عليه العادات والتّقاليد التي تتعامل مع المرأة بإقصاء وتهميش فهي في حكم الشيء الجامد لأنّها **" لا تبدي رأياً بل تتلقى،لا تبادر لكن تتمنى وتطمح ويقودها من حولها إلى ما يراد لها دون أن تبدي قبولاً مطلقاً أو رفضاً بيّناً"(1)**

ويبدو أنّ البيئة الحجازية المحافظة قد جعلت حوحو يكتب نصّه بشيء من التّحفّظ فهو لا يبدع بحرية ربما لأنّه غريب عن الديار أو بسبب فكره وتوجّهه الإصلاحي الذي يمنعه الخوض في موضوع المرأة بطلاقة فموضوع الحبّ مثلاً قد يكون فيه خروج عن الضوابط التي رسمتها جمعية العلماء لأتباعها،ومع هذا فقد صوّر الكاتب المرأة على أنّها مغلوبة على أمرهاوهي رهينة للتقاليد كما أنّها**"ضحية للمحافظة تتحكم في عواطفها وتجعلها تعيش في دوامة من الأوهام،تحب دون أن تساعدها ظروفها على أن تتأكد من عواطف من تحب"(2)**

---

(1) - محمد العوين :صورة المرأة في القصة السعودية،مكتبة الملك عبد العزيز العامة،الرياض،2002،ص: 54 .

(2) – الطاهر روابنية:إتجاهات الرواية في المغرب العربي،1945/ 1975،أطروحة ماجستير،ج1،1985،ص: 44

اختار الكاتب لبطلة الرواية "زكية" حرفة الخياطة لكونها ماكثة في البيت وهذا النّوع من النّشاط يناسب المرأة تماماً وقد كانت حرفة الخياطة في تلك الحقبة الزمنية من أهمّ أنواع النّشاطات البيتية للمرأة،تعلّمت زكية الخياطة والتّطريز عن أمها وقد أحبّت هذه الحرفة وتعلّقت بها فهي تعطف عليها **"عطف الأم الحنون على فلذة كبدها"**(1). تقدّم لنا الرواية صورة المرأة المتدينة المحافظة على صلواتها وأوقاتها وقد أخذت كلّ ذلك عن أمّها التي حرصت على **"تربيتها تربية دينية قويّة،شديدة الغلو"**(2) فكانت لا تضيّع أوقات الصلاة بل إنّها بمجرد دخول وقت الصّلاة وحتّى قبل أن يرفع صوت الأذان تضع ما بين يديها وتستعد لأداء صلاتها في خشوع تام،وإلى جانب شخصية البطلة زكية تظهر شخصية فاطمة المؤمنة التّائبة لربّها والتي كادت أن تفقد الأمل في تحقيق براءة ولدها ولكن صوت الإيمان انبعث من أعماقها فتضرّعت لله وقصدت البيت الحرام،أما الصّورة الثانية للمرأة التي يقدّمها الكاتب فهي المرأة الجاهلة الأميّة والحقيقة أن المرأة العربية في ذلك الزمان وبوجه عام كانت لا تمارس حقّها في التّعليم في مجتمع لا يرى الأنثى إلا ربّة بيت ويفرض عليها ضغطاً ويكبّلها بالقيود التي تمنعها التّعبير عن مشاعرها،ونتيجة القهر والكبت تعانى

---

(1) ـ أحمد رضا حوحو:"غادة أم القرى"،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989،ص:25 .

(2) ـ الرواية: ص: 31 .

المرأة من الأمراض النّفسية التي تفسّر على أنّها مسّ من الجن أو سحرو شعوذة**"فمن قائل أنّها مسحورة ومن مؤكّد أنّ ما بها هو من الجنّ"**(1) .

وتتأكّد صورة المرأة الجاهلة مع فاطمة التي تلقت رسالة كردّ على طلبها من الملك النظر في قضيّة ولدها وكانت لا تعرف القراءة والكتابة**"فذهبت تبحث عمّن يقرأ لها هاته الأسطر القلائل"**(2) .هذا الواقع المرير الذي تتخبّط فيه المرأة العربية هو وضع طبيعي لمجتمعات لم تتحرّر آنذاك من الاحتلال الغربي من جهة أو من سلطة الأعراف البالية والعادات القاسية التي لا يمكن لفرد من الأفراد الخروج عليها من جهة ثانية،لأنّه سيعاقب اجتماعيّاً وعليه تتجلى في الرواية صورة المرأة المسلوبة الإرادة التي تعيش تحت ضغط ووطأة الحجاب أي أنّ الفتاة وبمجرد البلوغ تحتجب ولا تظهر ولا يسمع صوتها حتى مع أقاربها من أبناء العمّ والخال وغيرهم وهي تتواصل معهم إذا اقتضت الضرورة بالتّصفيق ولقد تجسّد هذا الأمر مع بطلة الرواية حينما بلغت الثامنة عشر من عمرها فمنعت من الظهور والتواصل مع ابن خالتها جميل الذي تربّى في بيتهم وقد تعلّقت به زكية وأحبّته ولكن التقاليد البالية التي تلزمها الاحتجاب وعدم التّواصل مع ابن خالتها منعاها من فهم حقيقة مرّة تؤكّد أنّ هذا

---

(1) – أحمد رضا حوحو:غادة أم القرى،ص:49 .

(2) – الرواية:ص:44

الحبّ هو من طرف واحد وهذا ما أثّر عليها نفسيّاً فمرضت ثمّ ماتت،والحقيقة أنّ المجتمع بقيمه الغريبة وعاداته المتوارثة المتشدّدة قد جعل المرأة وكأنّها قطعة من البيت لا يمكنها مغادرته ولو لاستنشاق هواء نقي فقد حرمت من نعم كثيرة وعوملت بقسوة غير مبررة ،وفي الرواية ما يؤكد هذا الوضع الشّاذ والغريب حيث اضطرّت زكية للتواصل مع جميل وهو أمام باب البيت عن طريق التّصفيق ليفهم أن لا أحد في الداخل يمكنه التّحدّث إليه **"فصفّقت له تصفيقاً حاداً لتنبئه أن ليس هناك من يجوز له أن يكلّمه أو يستقبله"(1)** .

لم تكن زكية تعرف سبب قدوم جميل ولكنّها توهّمت مجيئه لطلب يدها فراحت تحلّق في سماء الخيال وهي تتساءل**"متى أكون لك فأستقبلك بحريّتي ... من دون أن يؤاخذنا على ذلك أحد أأقف على بعد خطوة منك ولا أستطيع أن أريك وجهي ولا أن أسمعك صوتي"(2)**.

يكشف المقطعان السّابقان من الرواية قسوة وعبء التّقاليد في المجتمعات العربية عامة والمجتمعين الحجازي والجزائري خاصّة وعليه راح الكاتب ينتقد البيئة الاجتماعية والأعراف والتّقاليد المتوارثة ليكشف لنا مدى تأثر البطلة نفسيّاً وهذا ما جعلها تتمرّد لعدم إحساسها بالانتماء لواقعها،وعليه كانت النّهاية مأساويّة ولعلّ نفسيّة البطلة كانت تجمع في

---

(1) – الرواية :ص: 26 .

(2) – الرواية:ص:27 .

أعماقها نقيضين اليأس من جهة نتيجة ما يحدث حولها والأمل من جهة ثانية في حياة أفضل والزواج هو أجمل ما قد يحدث للبطلة التي كان"**همّها الوحيد في هذه الحياة أن ترى نفسها يوماً في أحضان من تحب فجميل هو حياتها الغاليةوعالمها الذي تعيش فيه والسّعادة التي تنشدها"**(1) .والأمل في الزواج تولّد عند البطلة نتيجة حبّها وتعلّقها منذ طفولتها بجميل ابن خالتها ولكنّها سعت لكتمان هذه المشاعر،فالتّصريح بالحبّ في المجتمعات المتحجّرة الأفكار يعدّ بمثابة الجريمة التي لا تغتفر .

وفي الأخير يمكننا أن نوجز تيمة رواية "غادة أم القرى" في محاولة الكاتب أحمد رضا حوحو إعادة تشكيل البنية الفكرية والأخلاقية للمجتمع العربي وذلك من خلال عرض معاناة المرأة العربية بوصفها نصف المجتمع الذي لا يمكن إقصائه بل لا بدّ من تقديره ومنحه ما يستحق من الحريّة والمودّة والأمان بغية بناء مجتمع متوازن لا خلل فيه .

---

(1) - الرواية: ص:44 .

المحاضرة التّاسعة :

الجازية والدراويش لابن هدوقة والشهداء يعودون هذا الأسبوع للطّاهر وطّار

أ ـ رواية الجازية والدّراويش لابن هدوقة :

كتبت هذه الرواية في فترة السبعينات من القرن العشرين حيث كان المدّ الاشتراكي مهيمناً عل معظم المنطقة العربية كإيديولوجيا ونظام حكم تغنّت بها فئات كثيرة من المجتمعات العربية على غرار طبقة الفلاحين والعمال وحتى طلبة الجامعات،ولظروف متعدّدة تراجعت الاشتراكية وأفل نجمها فاسحة المجال للعولمة ،ثمّ حلّت في الجزائر فترة التسعينات التي شهدت مأساة وطنية ووضعاً داخلياً متأزّماً جراء استفحال ظاهرة الإرهاب والتقتيل بين أبناء الوطن الواحد،وقد كان الأديب الجزائري في المرحلتين شاهداً بقلمه على ما يحدث من حوله فبصم بطريقته على أعمال ونصوص إبداعية غزيرة ومتنوعة .

تتحدّث الرواية عن مجموعة من الطلبة الجامعيين ركّز من خلالهم الكاتب على شخصيتين رئيسيتين :شخصية الأحمر الاشتراكي الذي يقوم بأبحاث في المجال الجيولوجي وقد قدم للقرية ليجري أبحاثه ،والشخصية الثانية هي الطّالبة صافية، تتسارع أحداث الرواية ليلقى الأحمر حتفه بعدما رفض مشروع بناء القرية بسبب الأرضية غير الملائمة في نظره

وبالمقابل نجد شخصية الشامبيط المدافع عن فكرة إقامة القرية وقد قدمت هذه الشخصية على أنّها انتهازية وتسعى وراء أغراضها فحسب وقد لقي نفس مصير الأحمر .

وإذا كان المحور الأول من الرواية هو صراع الشّخصيتين الرئيسيتين "الأحمر/الشامبيط" فإن المحور الثاني هو من بمقدوره الزواج من الجازية؟ ،وقد عرضت الرواية مجموعة من الشخصيات المتودّدة والطالبة لرضا الجازية ومنهم الطيب الجبايلي وعايد المهاجر وابن الشامبيط فالكلّ وقع في شراك جمال الجازية فهام به .

الجازية وجمالها الأسطوري :

لم تكن صورة الجازية في الرواية صورة عادية فجمالها الفتّان وذكاؤها الحادّ وشخصيتها القوية المتميزة كل ذلك جعلها تبدو بملامح أسطورية تتداخل مع شخصيات الحكايات الخرافية كأميرة الجنّ،ولونجا،والسّندريلا... وغيرهن **"إنّ شخصية الجازية التي تعنينا هنا تحمل ملامح الشّخصية الملحمية والمتمثلة في كمال جسمي وعقلي وامتلاء بالحياة بجميع معانيها"** (1)

ويبدو أنّ التوظيف الأسطوري لشخصية الجازية هو توظيف مقصود وغرضه **"يتمثل في إعادة تفسير العالم الذي يعتقد أنّه فقد التّوازن بين مجموعة من الوحدات المتناقضة**

---

(1) – عبد الحميد بورايو:منطق السّرد،دراسات في القصة الجزائرية الحديثة،د،م،ج،1994 ،ص:119 .

كالواقع والمثال...فيحاول بذلك أن يستفيد من الأسطورة لخلق النموذج المراد" (1)

وقد أشار الكاتب في الجزء الأول من الرواية "للجازية الهلالية" وكأنّه يقول للقارئ أنّ ثمّة مقارنة بين الملامح الأسطوِية لشخصية الجازية في السيرة الهلالية والجازية في نصه كما أن الكاتب قصد هذه الشخصية بعينها وكان بإمكانه توظيف شخصية أخرى من التاريخ العربي الإسلامي ولكن حضور الهلاليين في منطقة شمال إفريقيا جعل الكاتب يميل لاختيار الجازية ليمد جسراً حضارياً وتاريخياً معهم،وقد كان حضور شخصية الجازية ببعدين أحدهما خيالي أسطوري والثاني واقعي فالجازية بطلة الرواية تتشابه مع الجازية الهلالية في جمالها الأخّاذ وقوة الشخصية فهي المرأة العربية الشّجاعة التي ساندت قبيلتها في أوقات الشّدة أثناء رحلة الهلاليين للغرب ووقوع المعارك بينهم وبين الزناتي خليفة فكانت الجازية توبخ التخاذلين في المعركة وبالمقابل تمدح المقاومين وتدعوهم للثبات وبالمقابل ظهرت الجازية الأسطورة في النّص قوية أيضاً وذكية تحسن الإختيار في أمر الزواج والتفريق بين الحب الحقيقي ونوايا الانتهازيين القائمة على الغموض والخداع .

وإلى جانب توظيفه لشخصية الجازية الهلالية عمد الكاتب لإدراج قصّة لا تختلف كثيراً عن قصّة الجازية في أبعادها الأسطورية وهي رواية الحمار الذهبي أو رواية التّحول لأبوليوس

---

(1) ـ عبد الحميد بوسماحة:توظيف التّراث في روايات ابن هدوقة،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،1991، ص: 122 .

ويبدو أن الكاتب استغل الأجواء الأسطورية لرواية التّحول ووظّفها للدلالة على فكرة الإنتقال وعدم الثّبات وتحوّل الشخصيات من خلال الإشارة لسعي لوكيوس بطل رواية الحمار الذهبي للعودة إلى أصله البشري بعدما عانى من وضعه كحمار يزدريه الجميع فكانت المطابقة مقبولة بين تحوّل لوكيوس وتحوّل الشخصية الأدبية عند ابن هدوقة .

كما نجد الروائي يوظّف أسطورة إساف ونائلة **"الثنائي المعروف عند العرب بعلاقة الحب التي تسبّبت في مسخهما،وقد استخدمت عند الحديث عن علاقة الأحمر بالجازية"**(1)

وقد كان الغرض من توظيف هذه الأسطورة هو تصوير موقف المجتمع وإدانته لكل علاقة بين الرجل والمرأة خارج الإطار الشرعي المتمثل في الزواج،وهذا مجتمع يعيش واقعه بأفكار موروثة تؤمن بخطورة نتائج هذه العلاقات (مقتل الأحمر في الرواية) .

وأخيراً نقول أنّ الروائي المبدع وهو ينهل من الزخم الأسطوري والتّراثي المحلّي أو العالمي عليه تجنب الوقوع في مصيدة التّكرار لتلك النصوص وأن يكون توظيفها توظيفاً فنيّا ودلالياً يخدم أفكار الكاتب وتوجهاته داخل المتن السّردي .

---

(1) ـ جيلالي خلاص:الكتابة الروائية عند ابن هدوقة،(مقال عمر أوهادي الكتابة الروائية في الجازية والدراويش) الملتقى الوطني الأول عبد الحميد بن هدوقة،1997 ،ص: 45 .

ب ـ الشهداء يعودون هذا الأسبوع للطّاهر وطّار :

تعالج القصّة قضية الواقع السّياسي من جهة واحتمال عودة الماضي الثّوري الجزائري من جهة ثانية وذلك بطرح العديد من الانشغالات ملخصها : ماذا لو عاد الشّهداء؟ ويتم طرح السؤال على مجموعة من الشخصيات الفاعلة في المجتمع من سياسيين وإداريين كرئيس البلدية "سي عبد الحميد" و"المانع " رئيس القسمة،وإلى جانبهما رئيس الفرع النقابي وغيرهم من الشخصيات التي لا ترحب بعودة الشهداء حفاظاً على مصالحها وهذا ما يلخص حجم الوضع الوطني العام وما آلت إليه صورة الجزائر بعد الاستقلال حيث انحرفت العديد من الممارسات السياسية عن مشروع بناء الوطن وتجسيد التضحيات العظيمة لشهداء الثورة،وعليه يمكننا أن نلتمس ذلك الهمّ الجوهري الذي كان يشغل بال الطّاهر وطار فجاء مميزاً لمعظم كتاباته وقد شغل في القصّة بال الشيخ العابد ثم انتقل لبقية الشخصيات داخل النّص إنه الماضي الثوري وما يحتويه من محطّات وأحداث تاريخية مؤثرة وفاصلة فوطار ليس مجرد كاتب ومعبر عن تلك الأحداث الثورية بل هو فاعل فيها وقد عاشها عن قرب وهذا ما يجعل معظم النّقاد يصنفون إبداعات وكتابات وطّار في خانة "الأدب السّيري" فالكاتب مسكون بالثورة وحياته الأدبية الإبداعية متداخلة مع ماضيه الثّوري وهذا ما انعكس بشكل مباشر على مواقفه وأقواله وأفعاله .

ولهذا سنجد كل مكونات العمل السردي في "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" من أحداث وحوارات وشخصيات أمام سؤال واضح وجوهري : أأنت مع الثورة أم ضدها؟

واقعية الأحداث وحضور الرسالة في النّص :

في التّراث القصصي العربي والانساني عموماً نماذج من الحكايات الّتي تتخيّل أحداثاً تنقلنا من عالم الأحياء إلى عالم الأموات،كرسالة الغفران للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي وغيرها ،ولكن الطّاهر وطّار سيأخذنا في رحلة عكسية من عالم الشهادة إلى عالم الأحياء .

وما يميز قصّة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" هو تلك الإشارات الزمنية الّتي يسوقها الكاتب ممّا يجعل القارئ يلتمس الطّابع الإستشرافي للقصّة حيث تتوالى الأحداث ثمّ ينفجر الوضع السياسي والأمني مع نهاية الثمانينات لتسوء الأوضاع أكثر مع بداية التّسعينات وتدخل الجزائر في متاهة سنوات الجمر والمحنة ،وعليه نستنتج أن القصّة في الواقع لا تحكي الماضي بل تحكي المستقبل وتحذر من الممارسات السياسية بشكل خاص لأنّها تنحرف عن المبادئ الثورية وما رسمه الشهداء وحلموا به في جزائر الاستقلال .

تجسّد حضور "رسالة الشّهداء" بشكل مادي في القصّة فقد كان البطل العابد بن مسعود ممسكاً بها ثمّ أمسكت بها شخصية أخرى في نهاية الأحداث حيث غدت الرسالة عنصراً فنيّاً فظهر عمقها ومعناها حينما دهس القطار البطل ولكن الرجل الذي أمسك بها سيواصل ما

بدأه عمّي العابد من مساءلة النّاس ربما بشكل مختلف وعليه غدت الرسالة بمثابة الشخصية المحورية فالكلّ يسعى لمعرفة مضمونها .ومع تطور الأحداث تنتقل القصّة من مجالها الفنيّ إلى الواقع السياسي لتنتقد الأوضاع وتهاجم أولئك الّذين يعتلون هرم السّلطة ولا يبالون لأحد وقد سمح ذلك العبث السياسي في نظر الكاتب بتعفّن المراتب الإدارية السّامية في الدولة يقول على لسان أحد الانتهازيين **"إذا ما وقفت أمام محكمة طالباً أو مطلوباً،حضر ولدي في القضية ليكسبني إياها،الحمد لله على ما تبقى،الله يرحم الشهداء ...."** (1)

وأخيراً نقول أنّ "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" عرضت مواقف الكاتب السياسية في قالب فنيّ عوض القالب الإيديولوجي حيث عمد وطّار للغوص عميقاً في نفسية كل شخصية داخل القصّة وما تحمله من دلالات ورؤى سياسية ،لقد عالج الكاتب موضوعاً حسّاساً متعلّقاً بفترة تاريخية من حياة الجزائريين وهم يشهدون ضياع حلم الشهداء في بناء وطن حرّ ينعم أهله بالرّاحة والرّخاء وبمستقبل أفضل للأجيال المتعاقبة ورسالة الثورة تتحقّق فعلياً في نظر وطّار عندما يقول الجزائري كلمته بكلّ حريّة فيساهم هو شخصياً في صناعة مستقبله دون أن تتدخل قوى أخرى

---

(1) ــ الطاهر وطار:الشهداء يعودون هذا الأسبوع،وزارة الاعلام ،الجزائر،1980،ص9 .

المحاضرة العاشرة :

معركة الزقاق لرشيد بوجدرة والثّلاثية لمحمد ديب

1 ـــ **"معركة الزقاق" لرشيد بوجدرة** :" الانتصارات التاريخية والانكسارات الذاتية "

كتب الروائي الجزائري "رشيد بوجدرة" روايته "معركة الزقاق" وهو مستند على الذاكرة وحركتها الإسترجاعية التي تتأرجح بين لحظات الوعي واللاوعي أي إدراك من جهة وتغييب أو تلميح ثم سكوت من جهة أخرى،والرواية تقدّم الأنا الراوية بفعل التّداعي الذي شكّل أفعالها فالشخصية المحورية في النّص متمثلة في"طارق" تعاني انكساراً وهي مسلوبة الإرادة وقد قدّمها الكاتب رفقة "شمس الدين ابن العمّ" و"كمال الصّديق" والثلاثة نفذوا عملية فدائية ضد الجنود الفرنسيين وحققوا نجاحاً باهراً ولكن الغريب في الأمر أنّ طارق نفسيته منكسرة وهو خائف على الدّوام ومتوتر نتيجة قسوة والده وطريقة تربيته الشديدة ولعلّ هذا الخوف المستمر دفع طارق إلى نهم وشره غير طبيعي فأصيب بسمنة مفرطة جعلته محلّ سخرية من الجميع **"رأى الغزاة يطوفون حول الجزيرة الخضراء ،وغزاة آخرون يحومون حول الجزائر... وهو يبدأ عراكاً طويلاً مع جسمه المتشحّم المتفايض يمنة ويسرة،عراك طويل مع الجسم إلى مدى عتبة الشباب وتتمة المراهقة أين طفولته**

انتسبت لمحنتها وعقدها، هو المقصى من عتبات أترابه لكثرة سمنته،وأهله لكثرة تناقضاتهم "(1)

من خلال توالى أحداث الرواية نلمس سعي الكاتب لإسقاط فشل طارق "الأنا الراوية" على معركة الزقاق التي قادها "طارق بن زياد" ومن خلالها يظهر التشكيك في نسب ابن زياد أهو بربري أم فارسي ومدى صحة الخطبة المنسوبة إليه وهو حديث عهد بالعربية،ثم بالتوازي مع ذلك يذكر الكاتب زيارة "طارق" الشخصية الرئيسية في النص للمدينة التي تمّ فتحها ومواجهته للأوضاع الصعبة هناك ومنها عدم معرفة الأهالي للّغة العربية .

يتحكم طارق "الرّاوي" داخل النص في تلك الإسقاطات المتوالية بالعودة إلى الأحداث التاريخية وتذكيرنا بعمله الفدائي رفقة صاحبيه فتتجلى أمامنا رمزية وقدسيّة ثورة التّحرير المباركة التي تبنّت فكرة الجهاد وآمنت بحتمية الانتصار،وبالعودة لحالة الإقصاء التي يعيشها البطل "طارق" تتشكل لدى القارئ ملامح شخصية متوترة لا تستقر على حال وتعود لماضيها باستمرار لتصنع نجاحات الحاضر فطارق الذي صار طبيباً بعد الاستقلال لا يزال يسترجع ماضيه المرتبط بالضعف والفشل .

---

(1) – رشيد بوجدرة:معركة الزقاق،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1986، ص: 24 .

عمد الكاتب إلى تكسير كرونولوجية الزمن داخل الرواية رغم أنّه يتّكأ على تداعيات ذاكرة الشخوص في استحضار الأحداث التاريخية فالمنطق في سيرورة الزمن أنّه يتّجه نحو المستقبل ولكنّنا نجد الروائي يجسّد واقع التّحرر من المحتل ويربطه بالفتح الإسلامي كما يشير في مفارقة عجيبة إلى الجزائر المستقلة التي تبني مؤسساتها بمعدّات ورافعات مكتوب عليها باللّغة الفرنسية وهي إشارة ضمنية إلى أنّ الجزائر بعد استقلالها تبني نفسها بيد المحتل الذي دمّرها ،ثمّ يسقط الكاتب هذه المفارقة على وضع البطل الراوي "طارق" الذي يعاني نفسياً وهو دائم التوتر رغم ما حقّقه من نجاحات على الصّعيد الاجتماعي والمهني .

يرتبط استحضار التاريخ في رواية "معركة الزقاق" بصور ومواقف فيها الكثير من القسوة والتّسلط بل والعنف أحياناً فماضي البطل مرتبط بالأب المتسلط غليظ الطبع في معاملة ولده داخل عالم ضيق مليء بالقهر **"يقول أبي يوم اكتشف هذا النص في كراسي لابن خلدون وقد كنت مطالباً بترجمته ... ترجم يا ولد .... وأنا أرتعد خوفاً،وهو يصيح في وجهي: ألا ترى أنّ ترجمتك الحرفية بليدة للغاية،لا معنى لها؟...أفيصل الحمق بك إلى هذا الحدّ؟ وأتركه أنا يتخبّط في غيظه... لا أبدي حركة... يضرب الشّيخ ضرباً مبرحاً يقول أبي : لا تحاسبني إلا بالجلد والعظم والدّم "**

---

(1) ـ الرواية : ص :102 .

هذه القسوة التي يعانيها "طارق" تناسبت مع الأجواء التاريخية للرواية حيث معاناة الشعب الجزائري إبان فترة الاحتلال ومع تلك القسوة ارتسمت معالم الشخصية المشكّكة في كلّ شيء والمثيرة للأسئلة بغية الوصول للحقيقة المفقودة.

لقد نجح "بوجدرة" من خلال رواية "معركة الزقاق" في استدعاء التّاريخ وجعله يتداخل مع الأنا السّاردة بغية طرح جملة من الانشغالات لملامسة بعض الأبعاد الإنسانية ولكن القارئ للرواية لا يمكنه أن يرسم صورة واضحة لها فالنّص كتب وتشكل برمزية عميقة تتطلب قراءة واعية ورصينة كما أنّ اللّغة الإيحائية مكنت الكاتب من جعل الشخصيات تتفاعل مع الأحداث لتنتقل من كونها كائنات حيّة إلى كونها كائنات رمزية تطرح قضايا إنسانية فاعلة .

2 ــ ثلاثية محمّد ديب : **"الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النّول "**

جسّد الروائي الجزائري الفرنكفوني "محمد ديب" في ثلاثيته معاناة الشّعب الجزائري إبان فترة الاحتلال الفرنسي بواقعيّة شديدة حيث لخّص تلك المعاناة في يوميات شخصيات بعينها همها الأكبر في الحياة توفير لقمة العيش فكان تصويره للأحداث مغرقاً في الواقعية كيف لا وهو الكاتب المتأثر بالمذهب الواقعي المدرك لخصوصياته بحكم ثقافته وتعليمه الفرنسي .

تقدّم الرواية الواقعية شخصية متميزة بمواصفات واقعية ومحدّدة فأبطالها شخصيات مألوفة وعادية هم أبعد ما يكون عن الأدوار البطولية ومن هنا جاءت شخصيات الثلاثية لمحمد ديب شديدة الارتباط بواقعها البائس بحكم فترة الاحتلال فكان شغلها الشّاغل تحصيل قوتها وإسكات جوعها .وقد جسّد الصغير "عمر" هذا البعد الواقعي في شخصية ولد لا يتعدى العاشرة من عمره يقضي معظم وقته في البحث عن قطعة خبز لا يهم إن كانت صغيرة أو كبيرة طرية أو يابسة وقد جاء في الجزء الأول من الرواية "الدار الكبيرة" على لسان عمر

"هات قليلاً ممّا تأكل،قال عمر ذلك وهو يقف أمام رشيد برّي.ولم يكن عمر وحيداً ،فإن شبكة من الأيدي قد امتدّت تلحّ كل منها في طلب نصيبها من الصدقة" (1)

هكذا كانت يوميات أبناء الجزائريين في مدارسهم أثناء فترة الاحتلال فبدل التحصيل العلمي والاهتمام بالدروس تجد هؤلاء الصغار يلهثون وراء قطعة الخبز فأنّى لهم التفكير في الدراسة وبطونهم فارغة،والحقيقة أنّ هاجس تحصيل الخبز لا يقتصر على المدرسة فهو يلاحق عمر وبقية الأصدقاء في كل زمان ومكان ،ولكن عمر ينشغل أحياناً ببعض المواضيع الجادة وعلى رأسها دون منازع قضية الوطن وما يفعله المحتل بأبناء الشعب منذ عشرات السنين وقد أثار المعلم هذه القضية حينما سأل عن معنى الوطن فقال عمر:

---

(1) – محمد ديب:الثلاثية،ت:سامي الدروبي ،بيروت،لبنان دار الوحدة للطباعة والنشر،1985 ،ص: 13 .

" يستحيل أن يفكر المرء في الخبز طوال الوقت،أي بلد هو بلده؟إنّ عمر يودّ لو يسأل المعلم ذلك ،كي يعلم أين أولئك الخبثاء الذين يدّعون أنّهم هم السّادة؟... من هم أعداء بلده؟ ... ولم يكن عمر يجرؤ على أن يفتح فمه ليطرح هذه الأسئلة بسبب طعم الخبز"(1)

وهاهي قطعة الخبز تمنع عمر وتحرمه طرح الأسئلة الجادة فيبدو أنّ سياسة تجويع الأهالي وحرمانهم من أبسط حقوقهم جعلت الجزائريين يصارعون بطونهم ولا يلتفتون لوضعهم البائس وكادوا يفقدون الأمل في استرجاع وطنهم وكرامتهم. وإلى جانب شخصية الطفل عمر يقدّم "ديب" شخصية ثانية في ثلاثيته بكثير من الواقعية إنّها "لالة عيني" والدة عمر والتي تمثّل صورة المرأة الجزائرية المتحمّلة لأعباء الحياة القاسية والثقيلة فعيني أرملة تعول ثلاثة أطفال في ظروف مريرة لذا رسم الكاتب صورة سوداوية لهذه الشخصية الناقمة والحاقدة على زوجها المتوفى لأنّه ترك لها حملاً ثقيلاً ولم يورث خلفه شيئاً يعينها على نوائب الدّهر فهي كلما ضاقت بها الحياة وخنقها العوز ذكرت زوجها بسوء**"ذلك الرجل لا يصلح لشيءترك لنا البؤس ّغيّب وجهه في التّراب،وسقطت علي جميع أنواع الشّقاء"(2)**

وإلى جانب معاناتها مع صغارها وتذمّرها من الظروف الصعبة تحمّلت عيني حملاً زائداً

---

(1) – الرواية : ص: 20 .

(2) – المرجع نفسه:ص: 24 .

تمثّل في أمّها العجوز المقعدة وقد كانت عيني شديدة معها تعاملها بغلظة وتنزعج منها لأتفه الأسباب،إنّهما الفقر والعوز حينما يجتمعان فيجردان حتّى الأم من المعاني الإنسانية النبيلة التي تقتضي رعاية الصّغار واللّين مع الكبار.

لقد نقل لنا محمد ديب في الجزء الأول من ثلاثيته المعنون ب "دار السبيطار" معاناة الأسرة الجزائرية الصغيرة أثناء فترة الاحتلال فعيني ووالدتها وصغارها الثلاثة نموذج من تلك اليوميات القاسية والتي عايشها كل أفراد الشعب الجزائري العالق آنذاك في شراك الفقر والجهل والحرمان .

2 ـ الحريق :

ينتقل بنا الكاتب في الجزء الثاني من ثلاثيته والذي عنونه ب"الحريق" إلى الريف الجزائري والوضع فيه لا يختلف عن المدينة لأن سياسة فرنسا واحدة "تجويع الشعب وتفقيره" فالفلاح الجزائري أخذت منه أرضه ظلماً وجوراً وبعد أن كان مالكاً للأرض أضحى مجرد عامل وبأجر زهيد لا يسدّ الرمق،فالمشهد لا يختلف بين المدينة والريف الفقر والعوز والحرمان كلها أمور مشتركة بين الجزائريين صوّرها الكاتب بواقعية شديدة وبتفاصيل دقيقة **"إنّ حياتهم تنقضي أيام زراعة لدى المستوطنين الفرنسيين ...إنّ الأرض**

هناك في الأعالي صعبة المراس لا ماء فيها قاحلة تختنق ظمئا... والفلاحون كثيراً ما تلمّ بهم المجاعة وحين يهبط اللّيل يبتلع الظلام تلك الأكواخ الحقيرة..."(1)

3 – النّول :

في الجزء الأخير من الثلاثية يعرض لنا الكاتب محمد ديب يوميات العمال في مصنعهم كما يسلّط الضوء على ظاهرة اجتماعية مهمة آنذاك وهي ظاهرة التّسول فمن شدّة الفقر والحاجة اضطر عدد كبير من الجزائريين لطلب الإحسان والصّدقة ،لقد انتقل عمر للعمل في المصنع بعد الانقطاع عن الدراسة وهذا لمساعدة أمه ومشاركتها الحمل الثقيل فوجد فئات من الجزائريين المضطهدين بعمل شاق وأجر زهيد ،وقد أبدع الكاتب في وصف هؤلاء العمال وصفاً مجرداً من كل تنميق فوجوههم تحكي بؤسهم ومعاناتهم مثلهم مثل طبقة المتسولين في المدينة فأفراد الشعب أصبح بعضهم أفقر من بعض وقد قدّمهم الكاتب في صورة واقعية بامتياز تستعرض أشكالهم ونفسياتهم وملامحهم الحزينة فهم صامتون ساكنون ولكن في أعماقهم شيء ما لعلّها الثورة التي ستغيّر الأوضاع وتسكن الآلام فتعيد لأفراد الشعب الأمل في الحياة .

---

(1) – الرواية:ص:118 .

المحاضرةالحادية عشر :

رواية الأمير لواسيني الأعرج

تمهيد :

تمكّن الروائي "واسيني الأعرج" من التموقع في المشهد الأدبي العربي وأن يشكّل لنفسه عالماً روائياً خاصاً وجميلاً بشهادة العديد من النّقاد والمختصّين في دراسة المنجز السّردي العربي،لقد اشتغل واسيني كثيراً على الأساليب الحداثية في الكتابة الروائية وهذا ما يفسّر سعيه الدائم للتجديد على مستوى النّصوص التي يبدعها وقد نال بذلك التّقدير وكسب ثقة جمهور عريض من القرّاء والمهتمّين بالشأن الروائي وفي هذا السّياق يقول النّاقد المغربي سعيد يقطين :**"لا شكّ في أنّ قراءة إنتاجه قراءة نقدية جادة كفيلة بموقعته ضمن الإنتاج الروائي العربي الجديد،الذي ساهم في إقامته روائيون من قبيل عبد الرحمن منيف ونبيل سليمان والغيطاني وصنع الله ابراهيم وآخرين من مختلف أنحاء البلاد العربية"(1)** .

لقد استطاع واسيني أن يكتب بأسلوب خاص ومتميّز يرتكز فيه كما ذكرنا على خاصية التّجديد ومحاكاة النّصوص التّاريخية وعلى رأسها "ألف ليلة وليلة" التي تحضر بشكل لافت في معظم الروايات الواسينية،وفيها **"تعضيد فعالية الراوي في معرفة التّاريخ واستحقاقاته**

---

(1) ـ سعيد يقطين :الرواية والتّراث السّردي،ط1،بيروت،المركز الثقافي العربي،1992،ص:49 .

دون الإمتزاج بتقنيّة التّعدّد الحواري ورؤاه الخصيبة "(1)

ومن العلامات البارزة في المنجز الروائي لواسيني الأعرج توظيفه ونزعته للمتخيّل الروائي حيث ينفتح النّص على محطّات تاريخية هامة ويتقاطع معها حتّي يغدو السّرد وكأنه تاريخ ثان يكتبه الروائي برؤية فنيّة مميّزة وهذا ما يزيد النّص تألقاً وعمقاً،فالأعمال الروائية التّاريخية التي اكتفت بنقل الأحداث كما هي دون لمسة فنية لكتابها عدّت في نظر النّقاد والمختصين عملاً تأريخياً تحوّل فيه الروائي إلى مؤرخ،من هنا نلتمس أهمية النّص الروائي الذي بين أيدينا وهو" كتاب الأمير" هذا العمل الضخم والمميّز للأعرج واسيني سنحاول في محاضرتنا أن نقف عند أبرز خصوصياته مع التّركيز على الأهمية التاريخية لهذا النّص الذي حاول كاتبه أن ينقل لنا ما لم يذكره التّاريخ الرّسمي عن أبرز شخصية في تاريخ الجزائر الحديث .

<u>رواية كتاب الأمير و"تخييل التّاريخ"</u> :

يمكن إدراج رواية الأمير ضمن "رواية السّيرة الغيرية" التي نلمس فيها تجاوز مرحلة الكتابة اعتماداً على تخييل الواقع إلى تخييل التّاريخ من خلال العودة إلى بداية الاحتلال الفرنسي ومبايعة الأمير عبد القادر لقيادة المقاومة،ففي رواية"السيرة الغيرية" تتحوّل

---

(1) ـ عبد الله أبو هيف:الاشتغال السردي ما بعد الحداثي،مجلة علامات في النقد،ع54، 2004 ،ص:504 .

عملية**"تتبع سيرةالشّخص سعياً نحو ملاحقة بطولة تؤرّخ لكينونة فردية أو جماعية،بحيث تصبح السّيرة بؤرة كتابة التّخييل بوصفه تشخيصاً لاختيار رحلة الشّخص من حيث هي حافز لتقديم موضوع الحكاية"(1)** .ولهذا نجد الروائي واسيني الأعرج يعود بالقارئ إلى مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر ليستعرض من خلالها صراع الأمير عبد القادر مع جيش فرنسا وجهوده المضنية لبناء دولة حديثة لا وجود فيها لمظاهر الفقر والبؤس والأفكار البالية والبدع وغيرها من المآسي التي غرق فيها المجتمع الجزائري آنذاك .

أثر المادة التّاريخية في تسلسل أحداث الرواية :

القارئ لرواية الأمير سيلفت انتباهه حتماً ذلك الحضور الطّاغي للمادة التّاريخية التي شكّلت العمود الفقري لهذا العمل الروائي المميّز،حيث وظّف الكاتب العديد من النّصوص والوثائق التّاريخية المتعلّقة بشخصية الأمير عبد القادرمن جهة وبشخصية القسّ ديبوش ـ وهو أوّل قسّ في الجزائر بعد الاحتلال ـ من جهة أخرى،ولعلّ أبرز هاته الوثائق على سبيل المثال لا الحصر نذكر: "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر"،"حياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل" "رسالة ديبوش إلى نابليون"،"مراسلات الأمير مع الجنرال دي ميشيل"وغيرها من الوثائق

---

(1) ـ عبد الفتاح الحجمري:هل لدينا رواية تاريخية؟،مجلة فصول،المجلد16،ع3 ،1997، ص:65 .

وقد لعبت هذه الوثائق والنّصوص دوراً محورياً في بناء الرواية وهي التي **"تمثّل من جهة بقايا من إنجازات الماضي ،ولكنها من جهة ثانية تمثّل شهادات عن الواقع "** (1)

والحقيقة أنّ توظيف الوثائق والنّصوص التاريخية في العمل الروائي ليس بالأمر الهيّن لأن الوقائع التاريخية مثبتة ولا يمكن تغييرها أو التّصرّف فيها فنيّاً هذا من جهة ومن جهة ثانية طبيعة العمل الروائي في حدّ ذاته والذي يسعى دوماً لرسم معالم المستقبل حتّى وإن عرض مادة حكائية من الماضي وهنا تختلف الرواية عن التّاريخ لكونها تتمثّل التّاريخ في الواقع .

ومن الجزئيات الفنية المميزة في رواية الأمير يمكننا أن نشير لقدرة الكاتب وبراعته في تجاوز عقبة من عقبات الأعمال المستندة على التاريخ وهي طغيان وسيطرة المادة التاريخية على المادة السردية الحكائية،لقد جعل الروائي واسيني الأعرج الوقائع التاريخية تنصهر بالجوانب الفنية ليتشكل لدينا نصّ سرديّ واحد فالرواية حتّى وإن ذكرت تاريخاً ولكنّها تذكره بطريقة جمالية لا تاريخية ومن أمثلة ذلك في الرواية نذكر:حادثة إعدام قاضي أرزيو "أحمد بن الطّاهر" وهو شيخ ومعلم الأمير عبد القادر **"لم يبق أحد بالسّاحة إلا العجوز خناثة التي كانت تنش الطّيور كعادتها بعد كل إعدام وتكنس المكان وترش قليلاً من** الماء **المعطّر برائحة القار وعود النوّار لدفن رائحة الموت والدّم،العسل الكحلاء تمحو بقايا**

---

(1) – عبد الله العروي،مفهوم التاريخ،ج1،الألفاظ والمذاهب،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط 1 ،1992 ،ص: 81 .

الموت كما تقول دائماً العجوز خناتة عندما تسأل عن فعلها " (1)

ينقل لنا الكاتب حادثة الإعدام بأسلوب فنّي حيث يعتمد على مجموعة من الأحداث المتخيلة ويجعل القارئ يندمج معها وكأنّها أحداث واقعية مع أنّها في الحقيقة متخيلة،فالعجوز خناتة ومع كانت تقوم به من أعمال بعد حادثة الإعدام هي مشاهد من وحي خيال الروائي جعلها تتداخل مع الحادثة التاريخية المثبتة والقارئ العادي قد لا ينتبه لذلك .

عمد الروائي واسيني الأعرج إلى توظيف الأحداث التّاريخية في رواية الأمير بشكل مختلف عن رواياته السّابقة فشخصية الأمير ليست شخصية عادية فالرجل كان يتطلع لتأسيس دولة قوية بل يسعى لبعث الأمة من سباتها فهو القائد العسكري الباسل،والمثقف المدرك لما يدور حوله والمشتغل على القضايا الكبرى المتعلقة بالوطن كالجهاد ومواجهة العدو،والأوضاع الاجتماعية الصعبة لأفراد الشعب وعلاقات النّاس فيما بينهم ودور المرأة في المجتمع،وفي الرواية يورد المؤلف حواراً بين الأمير وكاتبه برويلة يجسّد فيه نظرة القائد لما يحدث :

"قلمك جاهز؟القلم علامة صاحبه مثلما الخانة علامة المرأة المسرارة .

ـ كما يرى سيدي،هل يريد سيدي أن أسجل هذا؟

---

(1) ـ واسيني الأعرج:كتاب الأمير...مسالك أبواب الحديد،رواية،دار الآداب ،بيروت،ط 1 ،2005 ،ص:61 .

قالها برويلة كاتماً ابتسامة غامضة ثم انكفأ على صدره ينتظر بقية الكلام لتدوينه،فهم الأمير الغمزة الطّيبة .

ــ هل تريد من العربان أن تحرق بيوتنا،لا شيئ أثمن من الحبّ ومع ذلك كل شيئ في هذه الأرض حولناه بشكل يشبه فشلنا وإخفاقاتنا الكثيرة .(1)

حاول الأعرج في روايته الأمير أن يقدّم لنا صورة القائد المتفتّح على الآخر المتحاور معه دون انغلاق أو تشدّد فالأمير منذ تولّيه مقاليد الحكم فهم أن إنهاء معاناة الشّعب تمر حتماً بالقدرة على التّعامل مع العدو بذكاء ومحاورته بالقدر الذي يضمن مصالح النّاس،سياسة الأمير هذه تجعلنا نستشعر ذلك التّوظيف الإيجابي للفترة التّاريخية القاسية التي عاشها شعبنا وعليه كان يظهر الأمير في بعض المواقف في الرواية بمظهر الضّعف والخنوع إلى درجة التّفكير في التّخلي عن الجهاد والعودة للحياة العادية مع عالم الكتب ومناهل العلم والمعرفة .

برّر الأعرج تلك الصورة التي جسّدها للأمير في نصّه ب **"الهشاشة الجميلة الّتي لا تعني الانهزام ولكن تقبل شرطية الإنسانية القاسية بالمعنى الوجودي لا بالمعنى السّياسي"(2)**

هذه الهشاشة الجميلة التي ذكرها الأعرج جعلت العديد من النّقاد يرفضون صورة الأمير

---

(1) ـ الرواية :ص: 252 .

(2) ـ حوار مع واسيني العرج :مجلة نزوى،حاورته فاديا دلا،الكتابة متعة لكنها ليست نزهة،ع56،ص: 48

في الرواية ،فحياة الرّجل كلها بطولات ومآثر خلّدها التّاريخ ولا يمكن أن نقبل ظهور هذا القائد المغوار والرمز التّاريخي المدافع عن شرف الأمة بمظهر الخانع الضعيف المستسلم .

دوافع العودة للتّاريخ في كتابة رواية "الأمير"

ما من أمة إلا ولها ماض ومحطّات تاريخية ومناسبات ووقائع هي التي صنعت حاضرها وفي هذا التّاريخ دوماً هناك ما يسعد ويبهج وهناك بالمقابل ما يحزن ويتعس وتلك سنة الحياة،وجزائرنا لا تشذّ عن هذه القاعدة فهي أرض البطولات والأمجاد وتعاقب الحضارات والأمم التي ساهمت في صناعة وتطوير الحضارة الإنسانية،ويبدو أنّ تلك الأحداث والوقائع التّاريخية هي ما يشدّ الكتّاب فتراهم يبحثون في التّاريخ عن الأمجاد الضائعة وإعادة إحياء الإنجازات العظيمة لأممهم ومن ثمة إسقاطها على الواقع المأساوي والحاضر البائس طمعاً في إيجاد مخرج لجملة الانكسارات والأزمات المتعاقبة،وقد جاءت رواية الأمير ضمن هذا الإطار فواسيني كتب نصّه في بداية الألفية بعد خروج الجزائر من عشرية سوداء مريرة عانت فيها الأمة الجزائرية الويلات وتقاتل أبناء الوطن الواحد لتشهد البلاد ظروفاً أمنية وسياسية بل واجتماعية واقتصادية قاسية جداً .ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن الدوافع التي جعلت الروائي واسيني الأعرج يعود للتّاريخ ويستمدّ منه مادته الأساسية لكتابة نصه .

سبق وأشرنا في بداية محاضرتنا لاشتغال الروائي واسيني على جزئية التجريب المستمر فقد عاد كاتبنا في العديد من نصوصه للتراث العربي ونهل منه ليوّظف ذلك الإرث التّاريخي ولكنّه في رواية الأمير سيجد نفسه أمام تجربة لا تخلو من المغامرة والصّعوبة فشخصية الأمير مميّزة وحضورها التّاريخي وازن ومؤثر كما أنّ الكاتب سيتعامل مع مجموعة من الحقائق والنّصوص التّاريخية المثبتة فلا مجال للخطأ وهنا تكمن الصعوبة ويبرز عند واسيني الدافع الفنّي والإبداعي الذي جعله يغامر ويكتب نصّاً له جذور ووقائع تاريخية فيعمل هو خياله السّردي لينتج رواية تحاول أن تقول لنا ما لم يقله التّاريخ الرّسمي وإلى جانب الدافع الفنّي يمكننا أن نلتمس في الرواية دافعاً ثانياً متعلّقاً بأفكار الكاتب وتوجهه الإيديولوجي فالروائي المبدع والفنان هو أولاً وأخيراً فرد من المجتمع له مواقفه وقناعاته تجاه ما يدور من حوله وعليه سنجد واسيني يسترجع الأحداث الماضية ليبرز أطماع الدول الأوروبية في العالم العربي وكيف تمت عملية استغلال الثروات وقهر الشعوب ليسقط ذلك كله على الواقع العربي المرير عموماً والهدف هو محاولة استخلاص الدروس والعبر خاصة ما تعلّق بطريقة تعاملنا مع الآخر ونظرتنا له،ورواية الأمير في بنيتها العميقة تلخّص هذا المعنى فقد نسج الروائي الأحداث ليكرّس فكرة التّغيير التي كانت هاجس الأمير مع تطوّر الأحداث فقد سعى لتغيير واقع الجزائريين وتخليصهم من البدع والخرافات

والمضيّ قدماً نحو تأسيس وبناء أمة تسير وفق المتطلبات العلمية الحديثة دون إغفال الجانب الأخلاقي كقيمة ثابتة في المجتمع الإسلامي وبه نقدم لغيرنا صورة حضارية للإنسان العربي والمسلم عموماً يقول الأمير في هذا السياق :**"ماذا أقول للذين رأوا فينا قدوة تتبع تجاه المساجين ها قد عدنا لإسلام لا يعرف إلا الحرق والتدمير والقتل والإبادة والغنيمة وقد ألصقت هذه الصّورة بنا،لقد أمضيت كل سنوات الحرب أثبت للآخرين أنّنا نحارب ولكن لنا مروءة ورجولة ،لقد دفعنا أعداءنا لتقليدنا لكن في رمشة سكين ذهب كلّ شيئ"** **(1)** . هذا المقطع من الرواية يشعرنا وكأن الأمير يعيش بيننا ويحلّل واقعنا بعمق ودقة،فما قاله الأمير منذ عشرات السنين هو واقع اليوم فالغرب ينظر للمسلمين على أنّهم إرهابيون متعطّشون للدماء والخراب،فما أشبه قول الأمير بواقعنا اليوم.

وأخيراً نقول إنّ الدافع الحقيقي لاسترجاع الأحداث التاريخية هو بناء حاضر مشرق نكون فيه أفضل حينما نحسن التعامل مع بعضنا ومع غيرنا المختلف عنا في كلّ شيء،وقد كان منهج الأمير في الرواية منهج تغيير وتطلع لما هو أحسن حتى تتحقّق الآمال والأماني .

---

(1) – الرواية:ص:358 .

المحاضرة الثانية عشر :

الدواوين الشعرية ل: "سليمان جوادي ـ عثمان لوصيف ـ عز الدين ميهوبي "

1 ــ ديوان "قال سليمان" لسليمان جوادي :

سليمان جوادي شاعر جزائري من مواليد ولاية الوادي سنة 1953 ،تخرّج من دار المعلمين ببوزريعة ثم المعهد العالي للفنون الدرامية،التحق بالعمل الصحفي فأنتج للإذاعة والتلفزيون العديد من الحصص والبرامج،كان نشاطه كثيفاً وحضوره مميّزاً في السّاحة الفنية الجزائرية فكتب كمّاً معتبراً من القصائد المغنّاة لعديد الفنانين الجزائريين ،مثّل الشّاعر جوادي الجزائر في مؤتمرات شعرية وأدبية كثيرة خارج الوطن وألّف عدداً من الدّواوين منها :لا شعر بعدك،ويأتي الربيع،وموضوع محاضرتنا ديوان "قال سليمان" .

ــ ديوان "قال سليمان"

تتنوع القصائد في ديوان "قال سليمان" بين النصوص العمودية والقصائد الحرة وقد صدر الديوان في طبعتين عن دار التنوير للنشر والتوزيع بالجزائر العاصمة،وكعادة الشاعر "سليمان جوادي" لم تبتعد مواضيع نصوصه عن هموم الأنا وما تصارعه النفس البشرية وهي تحاول إثبات وجودها في عديد المواقف إلى جانب القصائد التي تتغنى بالوطن كقيمة

روحية ووجودية لا يمكن أبداً تجاوزها أو التغافل عنها والقارئ لديوان "قال سليمان" سيقف حتماً على اعتناء الشاعر بمسألة توظيف الألفاظ المناسبة ذات الدلالات المحددة ومن ذلك :

" أفتّش عن غير وجهي

لألقى الأحبّة مبتسماً مثلما عهدوني

أفتّش عن غير ثغري لألقي التّحية دون ارتباك"(1)

في الأبيات السابقة يوظف الشاعر ألفاظاً دالة على معاني الحيرة والضياع (أفتش،ارتباك) وفي المقابل يورد ألفاظاً دالة على معاني السّعادة والفرح(التحية،الأحبة،مبتسماً) التضادية في توظيف الألفاظ توحي بما تعانيه النفس البشرية وهي تبحث عن مواطن السعادة والراحة فرحلة البحث تلك تتضمن تارة حالة القلق والخوف وتارة أخرى حالة الراحة والطمأنينة والأبيات الآتية تعزّز الفكرة السابقة يقول سليمان جوادي: **"ما أتفه القلب الذي**

يحنو عليك ليخدعك

ويريك نور الشمس صبحاً

كي يدبّر في الليالي مصرعك" (2)

---

(1) ـ سليمان جوادي:ديوان قال سليمان،دار التنوير للنشر والتوزيع الجزائر،ط2،2012،ص:11 .

(2) ـ المرجع نفسه : ص: 19 .

2 ـ المدونة الشعرية لعثمان لوصيف :

الشاعر عثمان لوصيف من مواليد طولقة ولاية بسكرة بالجنوب الجزائري،حفظ القرآن الكريم في كتاتيب قريته وكان مولعاً بالفنون فظهرت عليه علامات النبوغ مبكراً كما توسعت ثقافته،تعلّم في مسقط رأسه ثم انتقل إلى عاصمة الولاية ليشتغل مدرّساً وكان قد حاز شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي،توفي الشاعر ببسكرة عام 2018 تاركاً مجموعة من الأعمال الشعرية نذكر مها :براءة،الكتابة بالنار،أبجديات،اللؤلؤة... وغيرها.

الشاعر عثمان لوصيف من الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين نظموا في الشعر الحرّ ونوّعوا في مواضيعهم بحثاً عن التّجديد وخروجاً عن الشّكل العمودي للقصيدة ولعلّ أبرز مظاهر التجديد مسّت ما يعرف **بالصّورة الشّعرية** التي تعتمد على الإشارة والرمز لنقل المشاعر والأحاسيس وكأنها لوحات أو مشاهد ماثلة أمام القارئ أو المستمع للشعر ولهذا لا بدّ أن يمتلك الشاعر المعاصر الخيال الواسع والحسّ المرهف والدّقة في اختيار الصّور المعبّرة الحاملة للدلالات الشّعورية والجمالية،والمتمعن في شعر عثمان لوصيف ستستوقفه لا محالة جزئية الاعتناء بالصّورة الشّعرية فتبدو القصيدة وكأنها صورة فنية واحدة تجسّد مجموعة من الصّور ترتبط بحسب الحالة النّفسية للشاعر ومن ذلك قوله :

حنجرتي محشوة بالبارود عيناي تغشاهما دوامات من الدّخان

وقدماي تغوصان

في برك الدماء (1)

في الجمل الشعرية السابقة يوظف الشاعر الصورة المركبة وهي جزئيات وتفاصيل استقاها من يومياته وتجربته كشاعر عايش المأساة الوطنية فصوّر لنا واقع البارود والنار والدّماء ممّا ولّد لدى الشاعر الهموم والأحزان ولعلّ هذه الصورة تحمل في طياتها رموزاً ودلالات وطيدة الصّلة بالتجربة الشّعرية .وفي صورة مخالفة تماماً يقودنا الشاعر لأجواء التفاؤل والأمل فيقول : **"غير أنّي أصرخ ملء الدنيا أحبك**

أيتها العربية الموشومة

بالملاحم والأمجاد أعبدك ويكفيني فخراً

أن أسجد بين يديك

وأنفض ما تناثر من رماد الفجيعة على قدميك القدسيتين" (2)

في الصورة الكلية السابقة مجموعة من الصور الجزئية المعبرة عن الأمل والتفاؤل بعدما تغيّرت الأوضاع وساد الأمن والسلام واستوجب ذلك حمد الله وشكره بالسجود والعبادة .

---

(1) ـ عثمان لوصيف:قصائد ظمأى،دار هومة،الجزائر،1999 ، ص:42 .

(2) ـ المرجع السابق: ص:43 .

3 ـ المدونة الشعرية لعز الدين ميهوبي :

ديوان طاسيليا:

عز الدين ميهوبي شاعر جزائري حديث نظم العديد من القصائد وصدرت له دواوين شعرية بمواضيع مختلفة،في ديوانه "طاسيليا" يشتغل على الذاكرة الشعبية لشمال إفريقيا فيقرّر الغوص في عالم الأساطير الأمازيغية مستدعياً شخصياتها الغريبة المتصارعة وأبعادها الميثولوجية المعقّدة فتبرز لنا طاسيليا المرأة المضحية في سبيل إنقاذ أهلها وغيلاس العاشق المتيّم إلى جانب شخصيات عديدة تتصارع فيما بينها بقوة وبعنف ولكن الشاعر ينتصر لطاسيليا ويحميها وقد تقودنا القراءة الشعرية العميقة إلى تأويل ذلك بانتصار الجزائر ووصولها لبرّ الأمان .

وطاسيليا ديوان شعري يرتكز فيه الشاعر ميهوبي على آليات التعبير المسرحي كالحوار المكثف وتعدّد الأصوات والحبكة الدرامية و الشخصيات وهي أدوات أخذها الشاعر من المسرح ليقدّم عرضاً تمثيلياً بلغة شعرية هائمة في الأجواء الأسطورية فنشهد بذلك تداخلاً أجناسياً بين الشعر والمسرح يثمر عملاً فنياً يحاكي الأسطورة بشكلها البدائي .

كتب الشاعر ميهوبي في مقدمة الديوان قائلاً:**"هي أسطورة يذكرها أهل الجزائر كثيراً كلما أمطرت السماء بعد قحط شديد...وقد أردت أن أقوم بعملية اختراق لهذه الأسطورة الحميلة**

... وحاولت أن أبني نصاً شعرياً بلغة مسرحية وغنائية ورسم لوحات درامية يختلط فيها منطق العرافة ورؤية الكاهن ومكابدات غيلاس العاشق وسطور أنزار المعتدّ بقوته وتضحية طاسيليا المرأة التي أنقذت أهلها ،وانتصار الدمعة في حربها مع الجبروت"(1) .

يؤكد الشاعر في لمحة تقديمية لعمله على أنّه قدّم الأسطورة في شكلها الشعبي المتداول ثم أوضح طريقة اشتغاله عليها وكيفية تحويل الأسطوري إلى شعر ممسرح ودراما غنائية تعبر عن مكابدة الجزائري وصبره في سبيل تحقيق المحبة والوصول للحرية .

تميّز ديوان طاسيليا بالحضور الكثيف للشخصيات ممّا يدل على كثرة الأحداث واحتدام الصراعات مع تعدّد الحوارات والمونولوجات،ومن أبرز هذه الشخصيات نذكر :

(طاسيليا،غيلاس،أنزار،الراهب،سيليا،يونيسا،توجا،الراعي) ويبدو أنّ الشاعر ميهوبي قد احتوى هذا الحضور المكثّف واستوعب الدور الحاسم لكل شخصية داخل النّص .

حيث تقوم الشخصيات المكثّفة بدور الأصوات المتعدّدة ومن أمثلة ذلك في النّص حوار النّسوة فيما بينهنّ كل واحدة تتباهى بنفسها: سيليا: **"أنا العصفورة حين تطلّ عليّ الشّمس وأسألها عن أجمل عاشقة في الأرض..**

توجا: أنا لن أسأل عن أجمل عاشقة

---

(1) – عز الدين ميهوبي:طاسيليا(مقدمة الديوان)،دار النهضة العربية ،بيروت،2007 .

فالعاشقة الأولى كنت أنا

ماسيليا: وأنا لن أسأل عنك لأنك العاشقة الأولى

وأنا عطر العشّاق

طاسيليا:أنا من يجعل هذا العطر نديّاً

أنا من يجعل هذه الدهشة نبض العطر" (1)

لقد أظهرت طاسيليا في الحوار السّابق أنّها تستوعب الجميع وتقبلهم ولا تنفر منهم فهي بهذا المنطق ستكون الأصل والبقية فروع وأنّها الصوت الأبقى في هذه القصة الخالدة .

وأخيراً نقول أن الشاعر "عز الدين ميهوبي" قد استحضر أسطورة قديمة وأحياها داخل نص شعري غنائي مسرحي فكان هذا التّداخل الأجناسي كفيلاً بتجسيد عمل فنيّ معبّر عن حبّ الوطن والتّمسك به كيفما كانت الظروف والمتغيرات .

---

(1) ـ عز الدين ميهوبي : طاسيليا، ص:12 .

المحاضرة الثالثة عشر :

بوابة الذكريات لآسيا جبار / ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

1 – بوابة الذكريات لآسيا جبار :

تعدّ آسيا جبار من الكاتبات الجزائريات القليلات في إبداع النصوص السردية باللغة الفرنسية وقد بلغت في ذلك مكانة محترمة حتى بين الفرنسيين جعلت منها عضو الأكاديمية الفرنسية، ولعلّ من أشهر ما أبدعت"جبار" نصّها "بوابة الذكريات"وهي ترجمة للنص الأصلي باللغة الفرنسية والذي كان بعنوان "لا مكان لي في بيت أبي" وهو عنوان أكثر دلالة وعمقاً من عنوان النسخة العربية لأنّه يستفزّ القارئ ويجعله يطرح التساؤلات عن جرأة هذه الأنثى،وأسباب رفضها للبقاء في بيت أبيها،وماهية وطبيعة تطلعاتها ....

يمكن تصنيف "بوابة الذكريات" كنص سير/ذاتي تحاول فيه الكاتبة اكتشاف ذاتها الأنثوية مبكراً أمام سياق تاريخي استعماري لغوي ومن هنا تمتثل أمامنا الذات الساردة المبدعة لآسيا جبار في علاقاتها المتداخلة المعقدة مع أناها العميق ثم مع الآخر القريب(الأم ــ الأب) من جهة والآخر البعيد (الأصدقاء ــ المحيط الاجتماعي) من جهة ثانية .

تبدأ الرواية بفصل يحمل عنوان "الأم الشابة" وفي ذلك إشارة للحضور القوي للأنثى الأم كقيمة رمزية في كينونة الذات الساردة (فاطمة) ــ وهو الاسم الحقيقي لآسيا جبارــ وممّا

يدل على قوة الحضور الأنثوي ما جاء في قول الساردة : **"أحسّ بالافتخار، ذلك لأني أولج أمي ـ التي باتت عندي أجمل النساء وأكثرهن إثارة للرغبة ـ في المدينة كلها بل العالم قاطبة،أشعر أن أولئك الذين أعجبوا بها قد شرعوا في الحكم علينا،وأنّهم يترصدوننا بدافع الخشية والحذر..."(1)** ،هذا الحضور اللافت للأم في الجزء الأول من الرواية سيغيب و يتلاشى سردياً أمام قوة السلطة المتعالية في المجتمعات الشرقية عموماً وهي السلطة الأبوية وهذا بالنظر للمرجعية الثقافية والاجتماعية،ولكن فاطمة سرعان ما تدرك أن الأب نسق سلطوي يمارس رقابة وعنفاً شديدين فالاستحضارات السردية لصورة الأب وهو يرافق تحوّل الطفلة إلى شابة ومواقفه المتشدّدة كمنع الفتاة من ركوب الدراجة جعل الصغيرة تتعقد وترتبك في علاقتها بجسدها،لقد صدمت الذات الساردة حينما اكتشفت أن والدها لا يختلف عن بقية الآباء الشرقيين وهو يمارس سلطته القهرية تجاه الأنثى مع أنّه نال نصيبه من التعليم والثقافة والتحضّر ولكن في أعماقه يقبع رجل لا يتخلى أبداً عن خصوصية وميزة الشرقي ،فالأب هنا يخضع لقيم مجتمعية وكأنّها متوارية في اللاوعى وتطفو للوعي في مواقف محدّدة ومهما تعلّم هذا الرجل أو خالط الآخر المتفتح والأقل تحفّظاً سيبقى دوماً متمسّكاً بشرقيته وهيمنته الأزلية . لقد حاولت آسيا جبار من خلال هذا النص السّيري

---

(1) ـ آسيا جبار:بوابة الذكريات،ترجمة محمد يحياتن،الجزائر ،سيديا،2014، ص: 16

الروائي أن تقدّم لنا نموذج الأنا الحائرة القلقة وهي تواجه أنساقاً ثقافية متداخلة ومتشابكة . أفقدتها قيمها الثبوتية فمن الأم وعالمها الجميل ولكنه ضعيف إلى صورة الأب كسند وملجأ ولكنه متسلّط وعنيف وانتهاءً بصورة العشيق المختلف لغة وثقافة كلّ ذلك أنتج ذاتاً ساردة مضطربة انعكست على التكوين الذاتي وسيرة آسيا جبار التي غيّرت لغتها واسمها .

2 ـ ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي :

تمكنت الروائية الجزائرية "أحلام مستغانمي" من كتابة متن سردي نسويّ مميّز جعل السّاحة الأدبية العربية من مشرقها إلى مغربها تتعلّق بتلك النّصوص الروائية الجميلة فحققت رواياتها الأولى (ذاكرة الجسد ،فوضى الحواس ،عابر سرير) أرقاماً مدهشة طبعاً ونشراً وبيعاً وأضحت أحلام مستغانمي في ظرف وجيز ظاهرة أدبية تثير لدى القراء الكثير من الإعجاب ولدى النّقاد الكثير من الشكوك،ولم تلتفت مستغانمي كثيراً لتلك المهاترات والجدل العقيم الدائر حول قدرة كاتبة جديدة على صياغة نصوص فنيّة راقية بل راحت تبدع بحماسة وثقة في النفس وتهيّأ لمواليدها من الروايات المتتالية كلّ أسباب النّجاح والانتشار،ولعلّ ما يميّز مستغانمي في تعاملها مع نصوصها هو قضية اختيار العناوين المغرية المعبّرة والتي تجعل القارئ يسارع لاقتناء الكتاب حتى يشبع فضوله ويقتل تلك الحيرة التي سكنته وهو يقرأ العنوان،وقد حقّقت رواية "ذاكرة الجسد" هذا المبتغى كونها

جمعت بين لفظتين لا يمكن منطقياً أن نجمع بينهما، فهل يمكن أن تكون للجسد ذاكرة ؟ وماذا تقصد الكاتبة بهذا الجمع؟ مع العلم أن أحداث الرواية تدور حول الثورة الجزائرية والعنوان بعيد كلّ البعد عن أجواء الثورة والحرب،لقد أبدعت الكاتبة في اختيار العنوان فخلقت انزياحاً دلالياً وخروجاً عن اللّغة المألوفة لتذهب بالقارئ بعيداً فتوهمه بشيء ويجد هو بعد القراءة شيئاً آخر ولكنّه يجلي ذلك الغموض ويفهم القصد فالذاكرة في الرواية مرتبطة بكل ما يستحضره البطل خالد من أحداث الماضي الثوري وبتر يده مع فقدانه لحبيبته،أما الجسد في الرواية فهو أرض الجزائر المغتصبة حيث تدور الأحداث المتشابكة لقد أخذ الجسد في الرواية أبعاداً دلالية متعدّدة وعميقة فجسّدته الكاتبة مكاناً ثم مدينة بل أضحى أحياناً جذوراً وتاريخاً وسياسة،أما على صعيد اللّغة فلا يمكن الحديث عن كتابات أحلام مستغانمي دون الإشارة لتلك اللّغة الشّعرية السّاحرة ببعد ثقافي ونضج فكري وقدرة عجيبة على توظيف الرموز والإيحاءات **"أم كنت تتلاعبين بالكلمات كعادتك وتتفرجين على وقعها عليّ وتسعدين سرّاً باندهاشي الدائم أمامك،وانبهاري بقدرتك المذهلة في خلق لغة على قياس تناقضاتك"** **(1)**

---

(1) ـ أحلام مستغانمي:ذاكرة الجسد،دار الآداب،بيروت،ط 5،2000 م،ص: 19 .

تحاول أحلام في كلّ كتاباتها أن تجعل الأنثى في مركز الأحداث بلغة مميّزة وشاعرية إلى أبعد الحدود كما أنّها ذكية في التلاعب بالألفاظ والكلمات ومن ذلك في رواية "ذاكرة الجسد"

"الحبّ هو ما حدث بيننا والأدب هو كلّ ما لم يحدث" (1) .

إنّ ما أبدعته أحلام مستغانمي من نصوص سردية جذبت بها ملايين القراء وجعلتهم ينتظرون في كلّ مرة جديدها في الكتابة يجعلنا نتوقف عند تلك الإبداعات ولا نعدّها مجرد عمل مرتبط بالمجال الأدبي السردي فأحلام تكتب بمشاعر وأحاسيس رقيقة تظهر جلياً في اللّغة ولها هاجس الأنثى السّاعية لفرض وجودها وتحسين وضعها ووضع مثيلاتها في المجتمع الشرقي الذكوري ،كما أثبتت مستغانمي أنّ المرأة الأديبة لا تختلف عن الرجل الأديب في شيء وأنّها بخيالها الواسع وعاطفتها الجياشة تستطيع أن تبدع أدباً راقياً وبرؤية أنثوية تدافع بها عن مواقفها وكيانها كامرأة .

---

(1) ـ أحلام مستغانمي : ذاكرة الجسد ،ص:7 .

المحاضرة الرابعة عشر :

رواية نجمة لكاتب ياسين / الأجواد لعبد القادر علولة :

1 – رواية نجمة لكاتب ياسين :

أبدع كاتب ياسين روايته "نجمة" في عزّ التّطورات والتغيرات التي أحدثتها الثورة المسلحة وكأن الشعب الجزائري برمته انبعث من تحت الركام وثار على الوضع العام فصاحبت الثورة المسلحة ثورات أخرى أبرزها الثورة الفكرية والأدبية مع مجموعة من المبدعين في أجناس أدبية مختلفة،وقد تميزت رواية نجمة لكونها كتبت بلغة المحتل أولاً ثم لأنها ستظهر بشكل رمزي في معظم إبداعات "كاتب" لاحقاً،أما فنياً فقد جاءت مخالفة للمألوف فالعمل يقوم على زعزعة وخلخلة القواعد السّردية المتعارف عليها وقد تضمنت الرواية مجموعة من الحوارات الغامضة والجمل المبتورة والكلمات المبهمة و**" ليست نجمة عملاً روائياً وكفى،ليست قصة ننتظر نهايتها،وليست أبطالاً بالمفهوم المتواتر.إنها سديم حقيقي يقود إلى ما يشبه الهوّة الممتدة من المطلع إلى الخاتمة" (1)**

لقد جسّد المؤلف من خلال خطاب التشويش والفوضى والغموض صورة المجتمع الجزائري المشتت وأفراده التائهون بلا وطن وبلا مستقبل واضح المعالم **"يجب عليك**

---

(1) – كاتب ياسين:رواية نجمة،ت:سعيد بوطاجين، الإختلاف،الجزائر،ط 1،2007،ص:6 ،(من مقدمة المترجم)

التفكير في مصير هذا البلد الذي جئنا منه،والذي ليس مقاطعة فرنسية ،الذي ليس له لا باي ولا سلطان... لأننا لسنا أمة ،ليس بعد" (1)

أما على مستوى البنية السردية فالقارئ يتفاجأ بتداخل وخلط محيّر لأن السارد يتحدّث بضمير الغائب ثم ينتقل فجأة لضمير المتكلم على لسان أحد الشخصيات وهكذا دواليك تتم عملية الانتقال من ضمير إلى ضمير كما نلمس هذا الخلط والتداخل في البنية الزمنية حيث يجعل السارد الماضي حاضراً والحاضر مستقبلاً في عملية تفكيك وتحطيم للتتابع الكرونولوجي المألوف،ويبدو أنّ رغبة الكاتب في الثورة على الأوضاع دفعته ليكتب بقلم ثائر لا يعترف بقواعد الكتابة فجاء العمل متمرداً على كل شيء وهذا ما جعل الأوساط الأدبية والنقدية آنذاك لا تقبل العمل خاصة وأنه جزائري وما ينبغي في عرف المحتلين أن تحقق رواية جزائرية هذا الإنجاز والتميّز،وبالعودة للعناصر السردية المكونة لرواية نجمة سنجد حضوراً ملفتاً للشخصية الروائية والتي تضمنت نوعين رئيسيين من الشخصيات : أوروبية تمثل سلطة المحتلين كالسيد إرنست رئيس الحظيرة ،والسيد ريكار السكير صاحب الحافلة وشخصية سوزي الفتاة الجميلة الأنيقة،والفئة الثانية تمثلها جماعة العمال وزوار المقهى وهي شخصيات غير فاعلة سردياً ولا تؤثر في مجريات الأحداث فهي مهمشة

---

(1) – الرواية:ص:167 .

و من بين الفئتين سيوظّف الكاتب أربع شخصيات متمردة ورافضة للأوضاع ستحرك كل فصول الرواية ويكون حضورها فاعلاً ومؤثراً في الأحداث هذه الشخصيات هي:"رشيد مراد،لخضر ومصطفى"والأربعة سيتنافسون في عشق "نجمة"الشخصية المركزية في النص ملهمة عشاقها بجسدها الساحر وروحها الخفية ولكنها تشكّل لغزاً محيّراً للجميع ولا يستطيع أيّ عاشق أن ينال منها كذلك الضوء السّاطع في السّماء نستمتع به ولا ننال منه شيئاً، وقد شكّلت نجمة موضوع بحث متواصل عن الحبّ المفقود والهوية الضائعة أيضاً ولعلّ هذا ما يدفع القارئ المتمعن إلى ربط نجمة بالوطن الضائع الجزائر هذه الأرض التي ضمّت عديد الأجناس والأقوام وعانت طوال تاريخ حافل بالحروب والصراعات ولا تزال ضائعة بين حبّ الأبناء وحقد الأعداء ولكنها ستعود أخيراً لموطن الأجداد **"قبيلة كبلوت"** أين تلقى الحماية والرعاية اللازمتين وتظهر أخيراً على صورتها الحقيقية فهي الجزائر بأرضها وتاريخها وبكل الأجناس المتعاقبة عليها ولا تزال تحافظ على كيانها ووجودها .

2 ـ الأجواد لعبد القادر علولة :

يعدّ عبد القادر علولة من أبرز المسرحيين الجزائريين حيث ساهم كتابة وإخراجاً في رسم معالم مسرح هادف متطور ومتجدد ينهل من المحلية وينشد العالمية كيف لا وهو المسرحيّ

المهووس ب "القوال والحلقة" كملمح بارز ومؤثر في الثقافة الشعبية الجزائرية ،كما تعدّ مسرحية **الأجواد** نصّاً متميّزاً و إبداعاً قلّ نظيره في المسرح المغاربي على الأقل فموضوع المسرحية بسيط لكن طريقة تناوله وتقنيات عرضه جعلت منه نصّاً خالداً وأيقونة بارزة في سماء المسرح العربي.

يتناول علولة في مسرحية الأجواد أوضاع الطبقات العمالية الكادحة وما يميزها من صفات الجود والكرم معتمداً على شخصية القوّال ومسخّراً لمجموعة من التقنيات المسرحية على غرار ما هو موجود في مسرح بريخت فجاءت المسرحية حافلة بالرمزية ورسائلها بأبعاد ودلالات عميقة ،لقد أبدع علولة في نصّه وأظهر قدرات عالية في عملية الإخراج بتركيزه على جملة من العناصر المسرحية والتي سخّرها لخدمة نصّه ومن ذلك نذكر :

تقمص الشخصية المسرحية،طريقة أداء الدور،اللباس واختيار الألوان المناسبة،الديكور البسيط،الإضاءة الدقيقة،إلى جانب الماكياج وبعض الإكسسوارات المعبرة دلالياً .

كل العناصر السالفة الذكر يوليها علولة أهمية قصوى ويوظّفها بالقدر الذي يخدم العرض المسرحي ويبسّطه للمتلقي وإن كانت الأجواد تعتمد بشكل كبير على عملية التجسيد وما يقوم به الممثل من مجهودوإبداع لإنجاح العمل ويظهرهذا جلياً في شخصية"جلول لفهايمي"

الذي يتحرك فوق الركح ركضاً في مشهد إبداعي عجيب ولعلّ تلك الحركات السريعة سببها نفسية لفهايمي و طبعه كشخصية متوترة عكس ما نجده في شخصية "الربوحي لحبيب" التي تميل للهدوء والرزانة بينما "المنور" هو متقلب بين هذا وذاك .

ومن الأساليب التعبيرية المتميزة في مسرحية الأجواد يمكن الإشارة إلى تلك الإنقطاعات المتكررة في كلام السّارد وكأنه متردد في البوح والتعبير عن دواخله ومكنوناته يقول جلول لفهايمي:**"أجري ماه...أجري...عييت ياه عييت...عييت يا لفهايمي ياه...حاسب روحك غير أنت تجري ياه..."** (1) وبالمقابل وظّف السّارد في بعض المقاطع أسلوب الصّمت ليعبّر عن لحظات التّأزم الدرامي للشخصية التي لا تجد ما تقول فيكون الصمت معبّراً عن الموقف كما حدث مع سكينة وإن كان القوال قد تكلّم على لسانها فصمتها كان أكثر تعبيراً.

أما ما تعلّق بالديكور فقد كان غاية في البساطة لأن علولة تبنى فكرة المسرح الفقير وعليه سيكون الممثل في الأجواد هو أساس العمل كما أن عملية تغيير الديكور تتمّ أمام أعين المشاهدين في تجسيد لمبدأ بريخت "كسر الإيهام" والحقيقة أن الديكور في الأجواد بقي ثابتاً ولم يتغير من البداية إلى النهاية في إشارة كما قلنا تدل على البساطة وعدم التعقيد وجعل الممثل هو مركز الاهتمام أثناء العرض يقول علولة:**"بالنسبة للديكور لم هناك داع لتزويق**

---

(1) ـ عبد القادر علولة،من مسرحيات علولة ،الأجواد،دط،موفم،1997 ،الجزائر،ص:138 .

الأماكن،طالما أننا نبحث خاصة على خلقها في ذاكرة المشاهد المبدعة" (1)

وإلى جانب الديكور يمكن أن نشير لعنصر آخر أولاه علولة نفس درجة الاهتمام وهو عامل الإضاءة ودورها في إنجاح العرض المسرحي،حيث نالت كل شخصية نصيبها على قدر المساواة وهذا دليل آخر على مبدأ البساطة والتّساوي بين الشخصيات ولكن القوال سلطت عليه الإضاءة أكثر من غيره فهو المحرك الأساسي للأحداث بتدخلاته وتوجيهه للوقائع مع بعض التوضيح والتفسير لما يحدث .

لقد قدّم علولة كعادته عرضاً جديراً بالمتابعة والاهتمام فالأجواد نص مسرحي تجاوزت شهرته حدود الوطن ونال العديد من الجوائز والتقدير مع أنه بسيط في ديكوره وتجهيزاته ولكنه عميق في دلالاته وأبعاده الاجتماعية والفكرية خاصة ،فهو يعبر عن الفرد البسيط الذي يعيش يومياته المتعبة و القاسية ومع ذلك يحاول أن يكون إيجابياً كريماً ومعطاء مع محيطه القريب والبعيد .

---

(1) ـ عبد القادر علولة:من مسرحيات علولة،ص:240 .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أـ المصادر :

1 ـ أحلام مستغانمي:ذاكرة الجسد،دارالآداب،بيروت،ط 5 ،2000 .

2 ـ أحمد رضا حوحو:"غادة أم القرى"،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1989

3 ـ آسيا جبار:بوابة الذكريات،ترجمة محمد يحياتن،الجزائر ،سيديا،2014

4 ـ الطاهر وطار:الشهداء يعودون هذا الأسبوع،وزارة الاعلام ،الجزائر،1980

5ـ سليمان جوادي:ديوان قال سليمان،دار التنوير للنشر والتوزيع الجزائر،ط 2 ،2012 ,

6ـ رشيد بوجدرة:معركة الزقاق،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1986

7 ـ عز الدين ميهوبي:طاسيليا(مقدمة الديوان)،دار النهضة العربية ،بيروت،2007

8 ـ عبد القادر علولة،من مسرحيات علولة ،الأجواد،دط،موفم ،الجزائر،1997

9ـ عثمان لوصيف:قصائد ظمأى،دار هومة،الجزائر،1999

10ـ لوكيوس أبوليوس ،الحمار الذهبي، ت ،أبو العيد دودو ،منشورات الإختلاف ،بيروت ،ط 3 ،2004

11 ـ محمد بن رمضان شاوش:الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد،المطبعة العلوية مستغانم،ط1 ،1966

12 ـ مفدي زكريا : إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ط2 ، 1987

13 ـ محمد العيد آل خليفة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،مطبعة البعث،قسنطينة،1967

14 ـ محمد البشير الإبراهيمي:تقديم:عيون البصائر:(د،ط)،دار الأمة،برج الكيفان،الجزائر،2007

15ـ محمد ديب:الثلاثية،ت:سامي الدروبي ،بيروت،لبنان دار الوحدة للطباعة والنشر،1985

16 ـ واسيني الأعرج:كتاب الأمير...مسالك أبواب الحديد،رواية،دار الآداب ،بيروت،ط 1 ،2005

17 ـ ياسين كاتب :رواية نجمة،ت:سعيد بوطاجين، الإختلاف،الجزائر،ط 1،2007

ب ـ المراجع :

18 ـ أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي،ج10،دار الغرب الإسلامي،ط 1 ، 1988 ، الجزائر 1

19 ـ ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ،ق3هـ ،تحقيق،محمدناصر،ابراهيم بحاز،دار المغرب الإسلامي،دط،دت،

20 ـ أحمد حماني:الصراع بين السنّة والبدعة،ج2،ط1،دار البعث قسنطينة،الجزائر،1984

21 ـأحمد طالب:الإلتزام في القصة الجزائرية المعاصرة،(1931 ـ 1976)،ديوان المطبوعات الجامعية، ،1980 .

22 ـ آسيا موساي:"أحمد رضا حوحو الأعمال الكاملة"،منشورات الإختلاف،الجزائر،1983

23 ـ أمين معلوف:التنشئة السياسية عند جمعية العلماء ،كلية العلوم السياسية والإعلام،جامعة الجزائر، 2008

24 ـ الطاهر روابنية:إتجاهات الرواية في المغرب العربي،1945/ 1975،أطروحة ماجستير،ج1،1985

25 ـ اسماعيل غزالي : مكر الكتابة ،هوامش حول رواية الحمار الذهبي ، جريدة الإتحاد 3أفريل 2014

26 ـ إحسان عباس:اتجاهات الشعر العربي المعاصر،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والآداب،الكويت،ع2 ،1988

27 ـ بحاز ابراهيم :عبد الرحمن بن رستم،شخصيات لها تاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،دط1990

28 ـ بدوي طبانة :قضايا النقد الأدبي ،دار المريخ ،الرياض ،1984

29 ـ جمال سعادنة : التيهرتي بكر بن حماد ،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية ،ع 24 ، جوان 2011

30 ـ جورج غريب : الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،دط ،دت

31 ـ جيلالي خلاص:الكتابة الروائية عند ابن هدوقة،مقال عمر أوهادي الجازية والدراويش،الملتقى بن هدوقة،1997

32 ـ رابح بونار :الأمير عبد القادر حياته وأدبه،مقال منشور في مجلة آمال، العدد 8 ، جويلية ،1970

33 ـ سعيد يقطين :الرواية والتّراث السّردي،ط1،بيروت،المركز الثقافي العربي،1992

34 ـ شارل أندريه جوليان:تعريب محمد مزالي،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر،1969

35 ـ شارل أندريه جوليان:تعريب محمد مزالي،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر،1969

36 ـ شوقي ضيف : في النقد الأدبي ،دار المعارف، مصر، ط4 ، 1996

37 ـ صالح خرفي : في ذكرى الأمير ،المؤسسة الوطنية للكتاب، دط ،الجزائر ، 1984

38 ـ عبد الحميد بورايو:منطق السّرد،دراسات في القصة الجزائرية الحديثة،د،م،ج،1994

39 ـ ـــــــــــــ: في الثقافة الشعبية الجزائرية،منشورات رابطة الأدب الشعبي،الجزائر،2006

40ـ ـــــــــــــ:الأدب الشعبي الجزائري،دراسة لأشكال الأداء في الفنون الشعبية الجزائرية القصبة،الجزائر، 2007

41 ـ عبد الحميد بوسماحة:توظيف التّراث في روايات ابن هدوقة،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،1991

42 ـ عبد الحميد زوزو:تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2012

43 ـ عبد الفتاح الحجمري:هل لدينا رواية تاريخية؟،مجلة فصول،المجلد16،ع3 ،1997

44 ـ عبد السلام بن ميس : مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية،دارالنشر المغرب،ط2 ،2010

45 ـ عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الأخرى، المتحف الوطني للمجاهدالجزائر،1996

46 ـ عبد الله أبو هيف:الاشتغال السردي ما بعد الحداثي،مجلة علامات في النقد،ع54 ،2004 .

47 ـ عبد الله العروي،مفهوم التاريخ،ج1،الألفاظ والمذاهب،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط 1 1992

48 ـ عبد الله ركيبي :تطور النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2 ،1983 .

49 ـ عثمان سعدي:جمعية العلماء المسلمين وعروبة الجزائر،دار الهدى،الجزائر،2003

50 ـ عمر بن قينة : دوّخ جنرالات فرنسا ودوخته أم البنين،مجلة الفيصل الأدبية ،م4 ،ع ¾ ،2007

51 ـ علي فكري : الخلفاء الراشدون ،أحسن القصص ،مكتبة رحاب الجزائر ،ج3، دط،دت

52 ـ فؤاد المرعي :المدخل إلى الآداب الأوروبية،منشورات جامعة حلب،ط 2 ، 1417 هـ/ 1996

53 ـ فؤاد صالح السيد: الامير عبد القادر ،متصوفاً شاعراً ،المؤسسة الوطنية للكتاب،دط ،الجزائر،1985

54 ـ مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،دت

55- ـ محمود السيد:تاريخ دول المغرب العربي، شباب الجامعة،الإسكندرية دط ،2006

56 ـ محمد الطمار:تاريخ الأدب الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981

57 ـ محمد العوين :صورة المرأة في القصة السعودية،مكتبة الملك عبد العزيز العامة،الرياض،2002

58 ـ محمد بن ناصر الشقري:التنصير في البلاد الإسلامية،ط1،دار الحبيب،الرياض،السعودية،1998

59 ـ محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين،دار الكلام الرباط،ط1989

60 ـ ممدوح حقي :من مقدمة ديوان الأمير عبد القادر الجزائري،دار اليقظة العربية،بيروت،1965

61 ـ محمد مصايف:جماعة الديوان في النقد،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،سنة1974

62 ـ لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية،دار النهار للنشر،بيروت،2002

63 ـ ميشال عاصي :الفن والأدب،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط2، 1970

الفهرس

عنوان المحاضرة	الصفحة

1 ـ الحمار الذهبي لأبوليوس 9

2 ـ الدّر الوقاد في شعر بكر بن حمّاد 19

3 ـ ديوان الأمير عبد القادر 31

4 ـ حكاية العشاق في الحبّ والاشتياق لمحمد بن براهيم 43

5ـ إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء 49

6ـ ديوان محمد العيد آل خليفة 61

7ـ عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي 79

8ـ غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو 82

9ـ الجازية والدراويش لابن هدوقة والشهداء يعودون هذا الأسبوع للطاهر وطار 90

10 ـ معركة الزقاق لبوجدرة والثلاثية لمحمد ديب 97

11 ـ رواية الأمير لواسيني الأعرج 105

12 ـ الدواوين الشعرية ل: سليما جوادي ـ عثمان لوصيف ـ عز الدين ميهوبي 114

13 ـ بوابة الذكريات لآسيا جبار وذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي 121

14 ـ رواية نجمة لكاتب ياسين والأجواد لعبد القادر علولة 126